

تصدر عن منصة **فلسطين قصص**

العددان ٧-٨

مجلة علمية إلكترونية كل شهرين
السنة الثانية - ربيع الآخر ١٤٤٨ هـ

فلسطين
مجلة المستقبل

فلسطين

من الوعي بالقضية إلى صناعة جيل التحرير



فلسطين في بازار

التفاهات الأمريكية الإيرانية
أ. ناصر فهد الرهون

الصراع

الإسلامي - اليهودي في ٢٠٢٧
مرصد فلسطين المستقبل

زوال الكيان المحتل

بين يقين السنن وخرافة التوقيت
د. سليم بن عيد الهلالي

الأمريكان

يقاتلون في سبيل الله؟
د. عبد العزيز ناصر الوهبي

فلسطين وجهاد الدفع

بين واجب النصرة وفقه القدرة
أ. سليمان ناصر الرشدان

رسالة إلى فلسطينيين

الشّتات!
أ. خالد أنور الصفدي

طالوت قبل جالوت

بناء الرجال قبل تحرير الأوطان
أ. معتمد يحيى الدروبي

أخطرة عشرة مفاهيم خاطئة

حول قضية فلسطين
أ. ياسر حمد السويلم

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:
 عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ فِي النِّكَاحِ وَغَيْرِهِ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،
 وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَالَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا
 هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
 ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
 الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [ص: ٢١] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
 يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ و٧١].

أما بعد، ثم يذكر حاجته.

رسالتنا إلى:

- ١- المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فلسطين التاريخية قضيتنا جميعًا، وهي ليست للبيع أو المبادلة.
- ٢- العرب أنتم مادة الإسلام وحملته إن عجزتم عن نصره فلسطين وأهلها، وتحرير مقدساتها؛ فغيركم أعجز.
- ٣- الشعب الفلسطيني المجاهد وحدوا جهودكم حتى يثمر جهادكم، ويأتيكم مدد إخوانكم المسلمين، وعون أمتكم العربية من كل فج عميق.
- ٤- أهل السنة والجماعة فلسطين عهد الصداقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم في رقابكم؛ فلا تتركوها لأهل البدع والأهواء؛ يتاجرون بقضيتنا، ويرقصون على جراحات شعبنا.
- ٥- الحكام المسلمين والعلماء الربانيين كونوا يدًا واحدة؛ فأنتم ولاة الأمر؛ تصلح بكم الأمة الإسلامية، ويحقق الله بكم النصر والتمكين.



رؤيتنا

١- الدفاع عن قضية الإسلام والمسلمين في فلسطين.

٢- المحافظة على هوية فلسطين (العربية) (الإسلامية) (السنية).

٣- رد شبهات اليهود والروافض والمستشرقين حول المسجد الأقصى.

٤- إبراز دور علماء أهل السنة والجماعة في دعم القضية الفلسطينية من منظور شرعي.

٥- كشف حقيقة متاجرة بعض الحركات الحزبية الباطنية بالقضية الفلسطينية.

٦- نشر الوعي العقدي والمنهجي بين المسلمين عامة وأهل السنة خاصة.

٧- تأهيل جيل التحرير علميًا ودعويًا لكشف الشبهات ونقضها.

٨- تحليل المجتمع اليهودي والمجتمع الإيراني من الداخل.

٩- استشراف مستقبل قضية فلسطين وبيت المقدس من خلال السنن الكونية والشرعية والتاريخية.



فلسطين المستقبل

مجلة علمية إلكترونية فصلية - السنة الثانية - العددان السابع والثامن - ربيع الآخر ١٤٤٨هـ

المشرف العام

سليم بن عبد الحامد

المستشار العلمي

الشيخ أبو يوسف البدواني الغزي

المستشار الإعلامي

الدكتور أبو زيد بن قيس القيرواني

أسرة التحرير

الدكتور عبد المولى البشير

الدكتور عيسى جمال العفري

الدكتور إياد أبو سعدة

الأستاذ حازم محمد الشاعر

الأستاذ علي وهبي المغربي

الأستاذ أبو حذيفة اليماني

ترحب أسرة تحرير مجلة فلسطين المستقبل

بمقالات الباحثين وملاحظات القراء

على البريد الإلكتروني التالي:

Palestine@kadiaty.com

الموضوعات المنشورة لا تعبر عن رأي المجلة



فهرس الموضوعات

- ٥ - حين يعاد تشكيل العالم... من يحمل هم فلسطين؟ ~~~~~ أسرة التحرير
- ٨ - التوحيد أول طريق لتحرير فلسطين ~~~~~ أ. عبد الرحمن ماجد السلمي
- ١١ - طالوت قبل جالوت: بناء الرجال قبل تحرير الأوطان ~~~~~ أ. معتمد يحيى الدروي
- ١٦ - فلسطين وجهاد الدفع: بين واجب النصرة وفقه القدرة ~~~~~ أ. سليمان ناصر الرشدان
- ٢٣ - قم لن تحكمنا إلا إذا تفرقنا - من تحذير الملك حسين ~~~~~ د. ارحيل الخزايلة
- ٢٩ - لماذا لن تموت قضية فلسطين؟ (١) ~~~~~ الشيخ أبو المنذر البدراني
- ٣٢ - هل أعطى الله فلسطين لليهود؟ ~~~~~ د. أنس محمود الرابعة
- ٣٧ - أخطر عشرة مفاهيم خاطئة حول قضية فلسطين ~~~~~ أ. ياسر حمد السويلم
- ٤٢ - الضفة الغربية... إلى أين؟ ~~~~~ أ. معاذ سليم البرقاوي
- ٤٥ - فلسطين في بازار التفاهات الأمريكية الإيرانية ~~~~~ أ. ناصر فهد المرهون
- ٥٠ - كيف فضحت نازلة غزة المشروع الإيراني؟ ~~~~~ د. عبد الرحمن عارف الحمصي
- ٥٣ - زوال الكيان المحتل: بين يقين السنن وخرافة التوقيت ~~~~~ د. سليم بن عيد الهلالي
- ٦٠ - حين تصبح معركة الوعي أخطر من معركة الحدود ~~~~~ د. طارق أمين المراكشي
- ٦٣ - العرب وحمل رسالة الإسلام ~~~~~ أ. عمر سالم الموريتاني
- ٦٧ - يريدون تحويل العلماء إلى قبائل! ~~~~~ أ. عبد الله اليماني
- ٧١ - مفاتيح فهم البهتان في صراع اليهود ~~~~~ د. عاصم يحيى القدومي
- ٧٦ - رسالة إلى فلسطيني الشتات! ~~~~~ أ. خالد أنور الصفدي
- ٨٠ - سرقة المكتبات الفلسطينية: حين نهبت ذاكرة شعب سنة ١٩٤٨ ~~~~~ أ. يوسف سليم الطرابلسي
- ٨٥ - الأمريكيان يقاتلون في سبيل الله؟ ~~~~~ د. عبد العزيز ناصر الوهبي
- ٩١ - تقرير حول كتاب: "لماذا ضاعت فلسطين؟" ~~~~~ الصحفي حسام عارف البدوي
- ٩٥ - الخطاب الديني التوراتي في مراحل إقامة الدولة اليهودية (٢) ~~~~~ د. إياد أبو سعدة
- ١٠٠ - الصراع الإسلامي - اليهودي في ٢٠٢٧ ~~~~~ مرصد فلسطين المستقبل
- ١٠٥ - تقرير مركز فلسطين للمستقبل للدراسات الاستراتيجية ~~~~~ خاص مجلة فلسطين المستقبل
- ١١٠ - مسك الختام - من الوعي بالقضية إلى صناعة جيل التحرير ~~~~~ أسرة التحرير



حين يعاد تشكيل العالم...

من يحمل همَّ

فلسطين؟

أسرة التحرير

يدور في الخفاء صراع آخر أشد أثرًا وأطول
عمرًا؛ صراع على الذاكرة، والهوية،
والوعي، وعلى الجيل الذي سيحمل
قضايا الأمة في العقود القادمة.

وفي قلب هذا المشهد تقف فلسطين:
ليس بوصفها أرضًا محتلة، ولا باعتبارها
ملفًا سياسيًا يتصدر نشرات الأخبار، وإنما
بوصفها قضية تكشف حقيقة الأمة؛ فإذا
بقيت حيّة في وجدانها بقيت الأمة حيّة،
وإذا غابت عن وعيها؛ كان ذلك إيذانًا
بتراجع رسالتها قبل تراجع حدودها.
لقد علمتنا سنن التاريخ أن الأوطان لا

أخطر الحروب ليست التي تغير حدود
الدول، وإنما تلك التي تعيد تشكيل
حدود الوعي.

فالأرض قد تحتل ثم تحرر، والخرائط قد
ترسم ثم تتبدل، أما إذا غابت القضية
عن العقول؛ فإن استعادتها تصبح أصعب
من استعادة الأرض نفسها.

ولهذا، بينما ينشغل العالم اليوم بإعادة
رسم خرائط النفوذ، وتبديل التحالفات،
وصناعة توازنات جديدة، وإعادة تشكيل
الشرق الأوسط الجديد، والتنافس على
الاقتصاد والتقنية والذكاء الاصطناعي،

تفقد أولاً في ميادين القتال، وإنما تفقد في ميادين التربية، وأن الهزائم العسكرية كثيراً ما تكون نتيجة هزائم فكرية وأخلاقية سبقتها بسنوات طويلة.

ولهذا؛ فإن معركة تحرير فلسطين ليست معركة حدود فحسب، وإنما معركة وعي، ومعركة هوية، ومعركة إنسان.

فمن يملك الرواية يوجه الوعي، ومن يوجه الوعي يصنع المواقف، ومن يصنع المواقف يرسم المستقبل.

ومن هنا لم يعد السؤال الأهم: ماذا يحدث في فلسطين؟

وإنما أصبح السؤال الأعمق: من سيحمل همّ فلسطين بعد عشرين عامًا؟ ومن سيورث أبنائه همّ فلسطين كما يورثهم أسماءهم وتاريخهم؟

ومن سيحفظها من أن تتحول إلى خبر عابر في زحام الأحداث، أو إلى ملف تفاوضي تحدده موازين السياسة وحدها؟ إن هذا هو السؤال الذي ولد منه هذا العدد.

فنحن لا نريد أن نضيف كلمات

جديدة إلى ما كتب عن فلسطين؛ فالمكتبات مليئة بالمؤلفات، والمنصات تعج بالأخبار والتحليلات؛ لكن الأمم لا تنهض بتراكم المعلومات، وإنما تنهض حين تتحول المعرفة إلى وعي، ويتحول الوعي إلى مسؤولية، وتتحول المسؤولية إلى عمل.

ولهذا جاء عنوان هذا العدد: «فلسطين من الوعي بالقضية إلى صناعة جيل التحرير».

لأننا نؤمن بأن تحرير الأرض يبدأ ببناء الإنسان، وأن إعداد جيل التحرير يسبق تحرير الأرض؛ كما سبق إعداد طالوت وجنده لمواجهة جالوت.

ومن هنا؛ فإن الصفحات التي بين يديك ليست قراءة في الماضي فحسب، ولا تعليقاً على أحداث الحاضر، وإنما هي محاولة للإجابة عن سؤال المستقبل.

لماذا بقيت فلسطين قضية الأمة المركزية؟

وكيف نفهمها بعيداً عن التضليل والدعاية والشعارات؟

وكيف نحصن أبنائنا من الروايات التي



تفرغ القضية من مضمونها؟

وكيف نصنع جيلاً يجمع بين الإيمان والبصيرة، وبين العلم والعمل، وبين الانتماء للإسلام والسنة والقدرة على البناء؟

إن فلسطين لا تحتاج إلى مزيد من العاطفة وحدها، بل تحتاج إلى مزيد من الوعي.

ولا تحتاج إلى كثرة المتحدثين عنها بقدر حاجتها إلى كثرة العاملين لها. ولا تحتاج إلى جيل يتفاعل مع الأحداث أيام الأزمات، وإنما إلى جيل يجعل تحرير فلسطين ومقدساتها جزءاً من رسالته في الحياة.

فقد يكتب باحث كتاباً يوقظ أمة، ويخرج معلم طالباً يحمل الرسالة، وتري أم قائداً، ويغرس داعي إلى الله فكرةً تغير مستقبل شعب بأكمله.

وهكذا تبني الأمم، وتبدأ معارك التحرير الحقيقية.

إن هذا العدد دعوة إلى أن نتقل من متابعة القضية إلى حملها، ومن الانفعال بها إلى العمل لها، ومن انتظار صناع

التاريخ إلى الإسهام في صناعته.

فحين يعاد تشكيل العالم، لا يكفي أن نسأل: من ربح؟ ومن خسر؟ ومن تغيرت حدوده؟

بل يجب أن نسأل السؤال الذي سيحدد شكل المستقبل كله:

من يحمل همّ فلسطين؟

فالأمة التي تحفظ وعيها تحفظ أرضها، والأمة التي تصنع رجالها ونساءها تصنع مستقبلها، والأمة التي لا تسمح بأن تنتزع فلسطين من عقول أبنائها، لن تنتزع فلسطين من تاريخها.

قد تتغير خرائط العالم مرات كثيرة، لكن المستقبل سيبقى ملكاً للأمة التي تحفظ قضاياها في عقول أبنائها قبل أن تحفظها في خرائطها.

ولهذا: فإن سؤال هذا العدد ليس: ماذا يحدث في فلسطين؟

بل: من يحمل همّ فلسطين؟

لأن الجواب عن هذا السؤال هو الذي سيكتب الفصل القادم من تاريخها. ■



التوحيد

أول طريق لتحرير

فلسطين

﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

الأستاذ عبد الرحمن ماجد السلمي

المصالح، بل هي قضية عقيدة وأمة ومقدسات؛ فيها المسجد الأقصى: أولى القبلتين، وثالث المسجدين الشريفين، ومسرى رسول الله ﷺ، والأرض التي بارك الله حولها، وجعلها ميداناً من ميادين الصراع بين الحق والباطل.

ومن هنا؛ فإن الحديث عن تحرير فلسطين لا يصح أن يختزل في السلاح وحده، ولا في السياسة وحدها، ولا في الشعارات العاطفية وحدها؛ لأن التحرير الحقيقي يبدأ من تحرير الإنسان من الشرك، والبدعة، والهوى،

قال الله عز وجل: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]. بهذه القاعدة الربانية يبدأ الحديث عن فلسطين، وبهذه السنة الإلهية يفهم طريق التحرير: فالنصر في الإسلام ليس لحظة تاريخية، ولا نتيجة تفوق مادي مجرد، وإنما ثمرة إيمان صادق، وعقيدة صحيحة، وأخذ كامل بأسباب القوة التي أمر الله بها.

ليست فلسطين قطعة أرض عابرة في خرائط السياسة، ولا ملفاً تفاوضياً: يفتح حين تشاء العواصم، ويغلق حين تتبدل



والتبعية، ثم بنائه على التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة.

وليس هذا اجتهدًا سياسيًا، وإنما هو منهج القرآن الكريم ومنهج جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فما من نبي أرسله الله إلا وكانت أول دعوته: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. فلم يبدأ الأنبياء ببناء الدول، ولا بإصلاح الاقتصاد، ولا بمواجهة الأعداء قبل إصلاح العقيدة؛ لأن التوحيد هو الذي يصنع الإنسان الذي يحمل الرسالة، ويثبت أمام الفتن، ويصبر على التضحيات، ويستحق وعد الله بالنصر والتمكين.

إن التوحيد ليس بابًا من أبواب العلم فحسب، بل هو مصدر القوة كلها؛ فالموحد لا يركع إلا لله، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يجعل ولاءه وبراءه إلا لله، فلا تشتريه المصالح، ولا تهزمه الضغوط، ولا يخضع لابتزاز القوى الكبرى. ومن هنا كانت العقيدة الصحيحة هي أعظم حصن يحفظ الأمة من الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية.

وقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والتمكين ربطًا لا يقبل الانفصام؛ فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]؛ فجعل التوحيد خاتمة آية الاستخلاف؛ إشارة إلى أن التمكين ثمرة لعبادة الله وحده. وقال سبحانه: ﴿إِنْ تَصْرُوا لِلَّهِ يُصْرِكْ وَيُنَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ونصرة الله تكون بتحقيق توحيده، واتباع رسوله ﷺ، وإقامة شرعه، وإصلاح الظاهر والباطن.

وبهذا تتميز القضية الفلسطينية عن سائر القضايا؛ فهي ليست نزاعًا حدوديًا، ولا صراعًا قوميًا، ولا قضية إنسانية مجردة، وإن كانت تتضمن كل ذلك، وإنما هي قبل ذلك قضية إسلامية ارتبطت بالوحي، وبالمسجد الأقصى، وبهوية الأمة ورسالتها. ولذلك؛ فإن فصل فلسطين عن عقيدتها هو أول خطوات تمييعها، كما أن اختطافها لمصلحة المشاريع الحزبية أو الطائفية أو القومية الضيقة هو من أعظم أسباب إضعافها وإضاعة بوصلتها.

إن العقيدة الصحيحة تحفظ فلسطين من أن تتحول إلى شعار موسمي، أو ورقة مساومة، أو أداة لتوسيع النفوذ الإقليمي، كما تحفظ الأمة من الانخداع بمن يرفع اسم فلسطين بينما يوظفها لخدمة مشروعه السياسي أو المذهبي. فالقضية أكبر من الأشخاص، وأبقى من التنظيمات، وأشرف



من أن تكون سلعة في أسواق المصالح الدولية.

ولا يعني التأكيد على مكانة العقيدة إهمال الأخذ بالأسباب؛ بل إن هذا من أعظم الأخطاء. فالإسلام جمع بين التوكل والعمل، وبين الإيمان والإعداد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فبناء القوة العسكرية، والنهضة العلمية، والاستقلال الاقتصادي، والإعلام الواعي، ووحدة الكلمة، وتربية الأجيال؛ كلها من صميم الدين؛ لكنها لا تؤتي ثمارها إلا إذا انطلقت من عقيدة صحيحة وغاية شرعية.

ولذلك يعلمنا التاريخ أن أعظم الانتصارات الإسلامية لم تبدأ في ميادين القتال، بل بدأت في ميادين الإيمان والعلم والتربية والإصلاح. ولم يكن تحرير القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وليد معركة حطين وحدها، وإنما كان ثمرة مشروع طويل أعاد للأمة عقيدتها، ووجد صفها، وأحيا فيها روح الجهاد، وربطها بالكتاب والسنة، حتى اجتمعت قوة الإيمان مع قوة السلاح، فتحقق وعد الله بالنصر.

وهذه سنة ربانية لا تتبدل ولا تتحول؛ فسن الله لا تستثني أمة ولا جيلاً، وإنما جعل للنصر أسباباً، كما جعل للهزيمة

أسباباً. فعدالة القضية وحدها لا تكفي لتحقيق النصر، كما أن كثرة المظالم الواقعة على الأمة لا تعفيها من واجب مراجعة نفسها، وتصحيح مسارها، وتحقيق شروط التمكين التي بينها القرآن الكريم.

إن تحرير فلسطين يبدأ من المسجد، والمدرسة، والبيت، والمنبر، والجامعة، ومراكز العلم والإعلام، كما يبدأ من صناعة الإنسان المؤمن الذي يجمع بين صفاء العقيدة، وصحة المنهج وقوة العبادة، وسمو الأخلاق، وقوة العلم، وحسن الإعداد، وصدق الانتماء لأُمته.

فالطريق إلى القدس لا يبدأ عند الحدود الجغرافية، وإنما يبدأ عند حدود الله. ويبدأ بتحرير القلوب من الشرك والبدع والأهواء، وتحرير العقول من الجهل والانحراف، وبناء أمة تعرف ربها، وتفهم دينها، وتأخذ بأسباب قوتها، وتوقن أن وعد الله حق، وأن سننه لا تتخلف.

وحين يعود التوحيد قائداً للأمة، وتعود العقيدة الصحيحة ميزاناً لحركتها، ويقترن الإيمان بالإعداد، والوعي بالعمل، والإخلاص بالأخذ بالأسباب؛ فإن فلسطين ستبقى قضية الأمة الأولى، وسيظل الأمل بتحريرها حياً؛ لأن الله وعد بنصر من نصره، ووعد سبحانه لا يخلف، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ■



طالوت قبل جالوت

بناء الرجال قبل تحرير الأوطان

♦ الأستاذ معتصم يحيى الدروبي ♦



أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا [البقرة: ٢٤٦].

إنها قصة تبدأ من جرح تعرفه الشعوب التي سلبت أرضها وشرد أبنائها.

لكن القرآن لم ينتقل من المظلومية مباشرة إلى النصر.

فبين قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾، وقوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، جاءت مدرسة كاملة في الاحتكام إلى الشرع،

لم تبدأ قصة طالوت وجالوت يوم التقى الجيشان، ولم يكن أول مشهد فيها سيفًا يواجه سيفًا. لقد بدأت قبل ذلك بكثير؛ حين ظهر السؤال الأصعب: هل يستطيع القوم الذين يطالبون باسترداد أرضهم أن يحتكموا إلى شرع الله حين يخالف أهواءهم، وأن يقبلوا القيادة التي اختارها الله بالاجتماع عليها، وأن يطيعوا في المعروف، ويصبروا على التكليف والابتلاء، ويثبتوا حين تتحول الدعوى إلى مسؤولية؟

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ إِذْ قَالَ لَهُمُ

والاجتماع، والطاعة، والتمحيص، والصبر، والثبات، واليقين.

وهنا يكمن درس عظيم لفلسطين وغيرها من قضايا الأمة: ليس المهم أن يكون الحق معنا فحسب، وإنما أن نكون أهلاً لحمله، وأن نسلك الطريق المشروع لنصرتة.

الامتحان الأول: حين يتحول الشعار إلى تكليف:

قالوا لنبيهم: ﴿أُبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

كانت المظلومية حقيقية، والرغبة في استرداد الحقوق ظاهرة.

لكن نبيهم سألهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا؟﴾.

فأكدوا استعدادهم، ولكن لما جاء التكليف قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

وهنا وقع أول تمحيص.

فالقضية العادلة لا تجعل كل من يتحمس لها قادرًا على احتمال تبعاتها، والكلمة في ساعة الغضب ليست كالصبر عند طول الطريق.

من السهل إعلان الاستعداد، لكن الامتحان الحقيقي يبدأ حين تصبح الكلمة تكليفًا، والعاطفة مسؤولية، والمطالبة بالحق استعدادًا لتحمل كلفته.

وهكذا بدأ بناء الصف قبل أن يظهر جالوت في الميدان.

الامتحان الثاني: القبول بالقيادة التي اختارها الله وليس صندوق الانتخابات:
ثم قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

لم يكن الامتحان في اختيار القيادة؛ فقد اختار الله لهم طالوت، وإنما كان الامتحان في قبول القيادة التي اختارها الله والانقياد لما جاء به الشرع حين لا يوافق الهوى.

قالوا: ﴿إِنِّي يَكُونُ لَهُ أَلْمُكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾.

فجعلوا لغة الانتخابات: المال السياسي والمكانة الاجتماعية مقياسًا للأهلية.

وصدمهم ميزان آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

إنها إشارة إلى قيمة العلم والكفاية والقوة في حمل المسؤوليات الكبرى لتحرير الأوطان وبناء الإنسان

ولذلك القصة تكشف معنى آخر لا يقل أهمية: أن الأمة لا تستطيع مواجهة أخطارها إذا كان كل فرد فيها لا يقبل من الأحكام والقيادات إلا ما وافق رأيه وهوواه.

وهذا لا يعني عصمة القيادة فكل يصيب ويخطئ إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا إلغاء النصيحة، ولا السكوت عن الخطأ.

فإذا وقع فيها خلل، فالواجب أن يحب زواله، وأن تبذل النصيحة الشرعية، ويسعى



لمرجعية الوحي، والتزام النظام المشروع الذي يحفظ الجماعة من التفرق والفوضى.

الامتحان الثالث: النهر:

خرج طالوت بالجنود، فجاء امتحان يبدو صغيراً أمام معركة جالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لم يكن النهر معركة عسكرية، لكنه كان امتحاناً في الطاعة والانضباط.

فالذي لا يضبط نفسه عند حد أمر ألا يتجاوزه، كيف يثبت أمام امتحان أشد؟ والذي يتجاوز الأمر في ساعة يسيرة، كيف يؤتمن على مسؤولية تتعلق بمصير جماعة كاملة؟

قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾. نقص العدد، لكن انكشف المعدن. وهنا يقرر القرآن حقيقة لا ينبغي أن تغيب: ليست القوة في كثرة العدد وحدها، بل في نوعية الرجال، وانضباطهم، وثباتهم، وصدقهم في حمل التكليف.

الامتحان الرابع: ألا يهزمك العدو في قلبك:

بعد عبور النهر واجهوا جالوت وجنوده. قال فريق: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

رأوا واقع القوة، فتحولت قراءتهم له إلى

في تقويمه وإصلاحه، وتزال أسباب الجفوة بين الراعي والرعية، ويعان ولي الأمر على الخير والعدل.

لكن ثمة فرق كبير بين النصيحة والهدم، وبين الإصلاح وشق الصف، وبين تقويم الخطأ واتخاذ ذريعة للفوضى.

ومن أصول أهل السنة: الاجتماع، والسمع والطاعة في المعروف، والنصيحة لولاة الأمور، والصبر على ما يقع من خلل، مع السعي المشروع في إصلاحه، لا تحويل كل نقص إلى باب للتمرد والتفرق.

أمة يحكمها الشرع لا الأهواء:

وهذا المعنى يجري في القصة كلها. فالأمة المؤهلة لحمل قضية كبرى لا يجمع أفرادها الغضب فقط؛ وإنما هي أمة لها مرجعية علمية أعلى من رغبات أفرادها، ومرجعية سياسة تجمع أفرادها. فإذا جاء حكم الشرع انتقادت له. وإذا أمرت القيادة في المعروف أطاعت. وإذا ابتليت صبرت. وإذا اختلفت لم تجعل كل طائفة هواها شريعة مستقلة.

أما من عجز عن الصبر على التكليف، فإن سنة التمهيص تكشف عجزه عن حمل أعباء المرحلة.

وهنا يتضح أن الاجتماع الحقيقي لا يعني اتفاق الأهواء، وإنما يعني خضوع الجميع



استسلام.

أما الآخرون فقالوا: ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

لم ينكروا الأسباب، ولم يتوهموا ضعف خصمهم، لكنهم رفضوا أن يجعلوا تفوقه المادي حكماً أبدياً.

وهنا الفرق بين اليقين والتمني.

التمني: ينتظر النتيجة دون شروطها.

أما اليقين: فيؤمن بأن وعد الله حق، ثم يعمل لتحقيق شروطه، ويأخذ بالأسباب، ويصبر، ويعلم أن القوة المادية سبب من الأسباب، وليست هي الحاكمة على النتائج.

فالمنهج القرآني لا يهمل الأسباب، ولا يؤلّوها.

صبر... ثم ثبات... ثم نصر:

وحين برزوا لجالوت قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

تأمل الترتيب:

الصبر، ثم الثبات، ثم النصر.

فالنتائج لها مقدماتها.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ظهر داود عليه الصلاة والسلام في نهاية المعركة، لكن قبل ظهور داود كانت هناك مراحل طويلة من بناء الامة وغربلتها.

والنصر الذي يراه الناس في ساعة قد تسبقه سنوات من التربية والإعداد لا يراها أحد. فلسطين: لا تنشغلوا بقوة العدو عن بناء الأمة

وهنا يظهر موضع العبرة لفلسطين.

ليس المقصود إسقاط كل تفصيل من قصة طالوت وجالوت على واقع سياسي معاصر؛ فالقصص القرآني ليس قالباً حزبياً، ولا وصفة عسكرية جاهزة، وإنما هو هداية تكشف السنن وتربي العقل والقلب.

ومن الواجب معرفة قوة العدو، ودراسة اقتصاده وتحالفاته وتقنيته ونقاط ضعفه.

لكن الخطأ أن ننشغل بجالوت حتى ننسى السؤال الأهم:

ماذا أعدنا نحن؟

فالقضايا الكبرى لا تحملها العواطف وحدها. تحتاج الأمة إلى عقيدة صحيحة، وعلم نافع، واجتماع على الحق، وطاعة في المعروف، وقيادة تناصح وتعان على الإصلاح، ومؤسسات قادرة، واقتصاد قوي، وتعليم متين، وإعلام واع، وتخصص علمي وتقني واستراتيجي.

وتحتاج إلى العالم، والمربي، والمهندس، والطبيب، والاقتصادي، والمؤرخ، والمتخصص في القانون، والإعلام، والسياسة، والتقنية. فالبيت، والمسجد، والمدرسة، والجامعة، والمختبر، والمصنع، ومركز الدراسات، والمؤسسة الاقتصادية؛ كلها ميادين في بناء القوة.



والإنسان، والقيادة، والعلم، والاقتصاد،
والمؤسسات، والوعي ليست قضايا تؤجل إلى
ما بعد استرداد الحقوق، بل هي من مقدماته
الكبرى.

لا تطلبوا نهاية القصة قبل مقدماتها:

بدأت القصة بقوم يقولون: ﴿وَقَدْ أَخْرِجْنَا
مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءَنَا﴾.

لكن المظلومية لم تكف.

وجاء الحماس فلم يكف.

ثم جاء التكليف، فتولى قوم.

وجاءت القيادة، فاعترض قوم.

وجاء النهر، فسقط آخرون.

وظهر جالوت، فتراجعت نفوس.

وبقي أهل الصبر واليقين.

ثم: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وهذا من أعظم دروس القصة:

لا تطلبوا الآية الأخيرة قبل المرور بما قبلها.

لا تطلبوا التمكين قبل بناء أسبابه.

ولا تجعلوا عدالة القضية بديلاً من إصلاح

النفس والأمة.

ولا تجعلوا اليقين بوعده الله مسوغاً لإهمال

السنن التي أمر الله بمراعاتها.

نعم طالوت قبل جالوت:

بين قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا
وَأَبْنَاءَنَا﴾.

وبين قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

منهج كامل في بناء الأمة.

لم يعلمنا القرآن أن المظلومية وحدها
تحقق النصر، ولا أن صدق القضية يغني عن
إعداد أهلها.

بل علمنا الاحتكام إلى الشرع، والاجتماع،
والطاعة في المعروف، والنصيحة، والصبر،
والانضباط، والثبات، والأخذ بالأسباب،
واليقين بالله.

ووعده الله حق لا يتخلف، ولكن ليس لأحد
أن يحدد للوعد زمناً من عند نفسه، ولا أن
يزكي جماعة أو مشروعاً بعينه بأنه قد استكمل
شروط النصر لمجرد أنه يرفع شعاراً صحيحاً.
ولهذا؛ فإن السؤال الذي يسبق الحديث عن
استرداد الأرض هو: هل بنينا الأمة القادرة على
حمل أمانة استردادها؟

قبل جالوت كان طالوت.

وقبل المواجهة كان الاجتماع.

وقبل النصر كانت الطاعة والتمحيص.

وقبل الغلبة كان النهر.

وقبل التمكين كان الصبر والثبات.

وتلك هي الرسالة التي ينبغي أن تبقى

حاضرة في قضية فلسطين:

لا نري أمة تنتظر سقوط جالوت، وإنما
نبي أمة تحقق من الإيمان والعلم والاجتماع
والقوة والأخذ بالأسباب ما يؤهلها لحمل أمانة
استرداد حقوقها.

فبناء الرجال ليس مجرد مرحلة تسبق تحرير
الأوطان؛ بل هو أساس الطريق إليه. ■



فلسطين وجهاد الدفع

بين واجب النصر وفقه القدرة

الأستاذ سليمان ناصر الرشدان

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ
مَنْ يَنْصُرْهُ
إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
عَزِيزٌ﴾

النصرة

القدرة



ليس المنهج السلفي في عزلة عن جراح المسلمين، ولا بارداً أمام دمائهم ومقدساتهم، كما أنه ليس انفعالاً تحكمه الشعارات وردود الأفعال؛ وإنما هو منهج يستمد موقفه من الوحي؛ يرحم المظلوم، وينصر المستضعف، ويغار على حرمان المسلمين، ثم يزن الوسائل والمواقف بميزان العلم والعدل والاستطاعة والمآلات.

ومن هنا يجب أن تقرأ قضية فلسطين؛ فلا يصح أن تتحول الحماسة لفلسطين إلى مسوغ لتجاوز الشريعة؛ كما لا يصح أن تتحول الدعوة إلى الحكمة والسياسة الشرعية إلى ستار للبرود تجاه احتلال الأرض، وسفك الدماء، وتشريد الناس. فالحق لا ينصر بالهوى؛ كما أن الحكمة لا تعني التخلي عن الحق.

فلسطين في ميزان الأخوة والنصرة: من الخطأ أن يصور اهتمام المسلمين بفلسطين بوصفه انشغالاً سياسياً طارئاً لا علاقة له بأصول الدين والأخلاق الإسلامية. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ [النساء: ٧٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الدِّينِ

فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وقال النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه". رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠).

فقضايا المسلمين ودماؤهم وأعراضهم وديارهم ليست هامشاً في التصور الإسلامي. وإذا نزلت بهم النوازل كان من مقتضى الأخوة الشرعية ألا يتركوا للعدوان، وأن يقوم المسلم بما يستطيع من النصرة المشروعة.

لكن هذه النصرة نفسها يجب أن تكون لله، وبشرع الله، وعلى بصيرة؛ لا مادة للمزايدات، ولا وقوداً لمشروعات أخرى. متى يتحول الجهاد إلى فرض عين؟

فرق الفقهاء بين جهاد الطلب وبين جهاد الدفع عند نزول العدو ببلاد المسلمين. قال ابن قدامة في "المغني" (١٩٧/٩): "إذا نزل الكفار ببلد، تعين على أهله قتالهم ودفعهم".

وقال النووي في "روضة الطالبين" (٢٠١٤/١٠): "فإذا وطئ الكفار بلدة للمسلمين، أو أطلوا عليها... صار الجهاد فرض عين".

ثم قال: "فيتعين على أهل تلك البلدة الدفع بما أمكنهم".

وذكر أن ابن أبي هريرة وغيره: أنه يبقى



فرض كفاية، ثم قال: ”والصحيح الأول“. وهذا النص مهم؛ لأنه يثبت قوة القول أنه فرض عين، وفي الوقت نفسه يمنع من التوسع غير المنضبط في دعوى الإجماع على جميع تفاصيل المسألة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في ”الفتاوى الكبرى“ (٥٣٩/٥): ”إذا دخل العدو بلاد الإسلام، فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة“.

ثم نبه إلى تفصيل دقيق فقال: ”لكن هل يجب على جميع أهل المكان النفير إذا نفر إليه الكفاية؟ كلام أحمد فيه مختلف“.

وهذه العبارة تكشف أن فقه جهاد الدفع أعمق من بعض شعارات المزايدة المتداولة؛ فالقول بأنه فرض عين أصل معتبر؛ لكن مدى امتداده إلى الأفراد والأقاليم يرتبط بالكفاية والحاجة والقدرة.

وعليه؛ فالصياغة الفقهية الأدق هي: إذا اعتدى عدو على بلد من بلاد المسلمين تعين على أهل البلد القادرين دفعه بحسب استطاعتهم؛ فإن لم تحصل بهم الكفاية اتسع الوجوب إلى من يليهم: الأقرب فالأقرب؛ بحسب الحاجة والاستطاعة حتى تتحقق الكفاية.

وهذه أدق علميًا من عبارة: ”إذا احتل

شبرًا صار القتال بالنفس فرض عين فورًا على كل مسلم في الأرض“.

الدفع بما أمكنهم: كلمة تضبط المسألة:
من أجمع العبارات في الباب قول النووي: ”الدفع بما أمكنهم“.

فالتكليف مرتبط بالاستطاعة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وفرض العين لا يعني بالضرورة أن الصورة العملية المطلوبة من جميع المكلفين واحدة.

فمسؤولية الجندي ليست مسؤولية الطبيب، ومسؤولية العالم ليست مسؤولية رجل الدولة، ومسؤولية الفرد الذي لا يملك إلا كلمته وماله ليست كمسؤولية حكومة تملك الجيوش والحدود والاقتصاد والدبلوماسية.

ولهذا؛ فالنصرة أوسع من صورة واحدة؛ فقد تكون عسكرية في موضعها المشروع وتحت جهتها المختصة، وقد تكون إغاثية، أو سياسية، أو مالية موثوقة، أو قانونية، أو إعلامية، أو علمية، أو دبلوماسية.

والمهم أن يتحقق المقصود الشرعي بحسب القدرة، لا أن يتحول الحكم إلى شعار يطالب الجميع بفعل لا يملكونه.

الدولة ليست كالفرد:

ومن مواطن الخلل في بعض الخطابات أن



تحمل قضية فلسطين للفرد المسلم وحده، ثم يغفل من يملك القوة المؤسسية الحقيقية.

فمن كانت قدرته أعظم؛ كانت مسؤوليته بقدرها أعظم.

والدول تملك ما لا يملكه الأفراد: الجيوش، والاقتصاد، والسياسة الخارجية، والحدود، والتحالفات، والمساعدات، والمؤسسات القانونية والإعلامية.

ومن ثم؛ فإن نصيب الحكومات والدول العربية والإسلامية من واجب حماية الحقوق الفلسطينية ونصرة المظلومين أوسع من نصيب الأفراد، وإن تفاوتت الوسائل بحسب القدرة والظروف والمصالح المعتمدة.

ولا يعني ذلك أن كل دولة مطالبة بخيار عسكري واحد، بل يعني أنها لا تعفى من المسؤولية ما دام في يدها شيء تستطيع فعله: منع التهجير، إغاثة المنكوب، الضغط السياسي، الدفاع القانوني، تقوية صمود المدنيين، بناء الاستقلال الاستراتيجي، وتوظيف ما تملكه من أوراق سياسية واقتصادية وفق المصلحة الشرعية.

فقه القدرة لا يعني فقه الاستسلام:

لكن الحديث عن الاستطاعة والمآلات قد يساء استعماله أيضاً:

فقد يتحول "فقه الواقع" إلى تسويغ

دائم للعجز؛ حتى يصبح ضعف المسلمين أمراً يشرح، ولا يعالج.

وهذا خلاف قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد وسع الشيخ عبد الرحمن السعدي مفهوم القوة في تفسير الآية؛ فأدخل فيه القوة العقلية والبدنية، والصناعات العسكرية، وآلات الدفاع، وكذلك "الرأي والسياسة" و"الشجاعة والتدبير"، ثم قرر أن ما لا يتم الواجب إلا به وجب السعي إلى تحصيله.

وهذا فهم بالغ الأهمية لقضية فلسطين؛ فإذا لم تكن الأمة قادرة اليوم على تحقيق بعض أهدافها؛ فإن الواجب لا ينتهي (بتقرير العجز الكامل)، وإنما ينتقل إلى بناء القدرة.

والقدرة في عالمنا لا تصنعها البندقية وحدها؛ بل تصنعها الجامعة والمختبر والمصنع والاقتصاد والتقنية والاستخبارات والإعلام والدبلوماسية ووحدة القرار.

فالضعف قد يعذر في فعل يعجز عنه الإنسان؛ لكنه لا يسوغ أن يبقى بناء القوة مؤجلاً جيلاً بعد جيل.

بين الدين الصحيح والخبرة بالواقع:

ومن أجمع ما قيل في ضبط هذه المسائل قول ابن تيمية في سياق حديثه عن الجهاد:



”والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا“.

ثم حذر من الاعتماد على أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر بعيداً عن الدين، كما حذر من أهل الدين الذين ليست لهم خبرة بأمور الواقع.

وهذا من جوهر المنهج السلفي في السياسة الشرعية: دين بلا خبرة قد ينتج قرارات كارثية، وخبرة بلا دين قد تنتج سياسة بلا ضوابط، ونتائج انحلالية مستبعدة للمحرمات.

والرشد في الجمع بينهما.

ومن ثم لا تتخذ القرارات المصيرية المتعلقة بالدماء والأموال والأعراض والحرب والسلام بالحماسة وحدها، ولا بحسابات القوة المجردة وحدها، وإنما بوحى صحيح، وفقه راسخ، وخبرة بالواقع، وتقدير للمصالح والمفاسد.

عدالة قضية فلسطين لا تجعل كل فعل باسمها عادلاً:

هذه قاعدة لا يجوز التفريط فيها:

عدالة قضية لا تعني عدالة كل وسيلة تتخذ باسمها.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[المائدة: ٨].

وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ١٩١﴾ فَإِن أَنْتَهُوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنْتَهُوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [سورة البقرة: ١٩٠-١٩٤]،

فالآيات كلها تبين أن القتال شرع لمحاربة المعتدي والظالم المحارب، وقد تكرر فيها بيان أن القتال يكون بالتمائل إلى أن يتم دفع المعتدي والظالم.

فلا يجوز أن تتحول المظلومية إلى ترخيص بمظلومية أخرى، ولا أن تستباح دماء من لا يجوز استهدافهم، ولا أن يسوغ الغدر والكذب والعدوان لمجرد أن الغاية المعلنة هي فلسطين.

المنهج السلفي لا يقول: ”الغاية تسويغ الوسيلة“؛ بل يحاكم الغاية والوسيلة معاً إلى الشريعة.

وهذا لا يضعف القضية، بل يحفظ



أخلاقيتها وشرعيتها.

فلسطين ليست سلعة سياسية:

ومن أخطر ما أصاب القضية الفلسطينية عبر تاريخها أن تتحول آلامها أحياناً إلى رأس مال سياسي.

فليس كل من رفع اسم القدس نصيراً للقدس، ولا كل من صاح باسم فلسطين جعل مصلحة فلسطين مقدمة على مصلحة مشروعه.

قد يستخدم طرف القضية لتوسيع نفوذه، أو لبناء زعامة، أو لمنافسة خصومه، أو لجمع المال بلا شفافية، أو لإضفاء الشرعية على مشروع سياسي أو طائفي لا تكون مصلحة الفلسطينيين غايته الأولى.

وهنا ينبغي أن يكون ميزان أهل السنة واضحاً: لا نعرف الحق بكثرة الشعارات، ولا الرجال برايات القضايا التي يرفعونها، وإنما نزن الأقوال والأفعال بالكتاب والسنة ونتأجها وآثارها:

فالطفل الجريح ليس مادة دعائية.

واليتيم ليس وسيلة لجمع المال.

والقدس ليست شعاراً موسميّاً.

ودماء الفلسطينيين ليست وقوداً

لمشروعات إقليمية أو حزبية.

والسؤال الصحيح ليس فقط: من يتكلم

عن فلسطين؟

وإنما: ماذا صنع لفلسطين؟ وإلى أين تقود سياساته أهلها؟ ومن المستفيد النهائي من مشروعه؟

لا تجعلوا أخطاء المتاجرين ذريعة لخدلان المظلومين:

لكن العدل يقتضي التحذير من الخراف مقابل:

فإذا استغل حزب أو حركة أو فصيل أو منظمة قضية فلسطين، أو أخطأ تنظيم، أو وظفتها دولة لمشروعها؛ فلا يعني ذلك أن يعاقب أهل فلسطين على أخطاء هؤلاء.

فساد بعض حملة القضية لا يفسد أصل القضية:

فلسطين أوسع من فصيل، والقدس ليست ملكاً لتنظيم، وحقوق الناس لا تسقط؛ لأن قيادتهم أخطأت.

وهنا يظهر الفرق بين المنهج والهوى؛ فصاحب الهوى إما أن يقدس التنظيم؛ لأنه يتحدث عن فلسطين، وإما أن يهجر فلسطين؛ لأنه يبغض التنظيم.

أما العدل؛ فيقول:

نرفض الخطأ، وننصر الحق.

ولا نزن فلسطين بالرجال؛ وإنما نزن الرجال بما يقدمونه للحق والعدل.

أين يظهر المنهج السلفي؟

يظهر في أن يكون المسلم رحيم القلب،



صحيح العقيدة، منضبط الحكم، بعيدًا عن المزايدة.

هو مع المستضعف؛ لأن الوحي أمر بنصرته.

ومع استرداد الحقوق؛ لأن الظلم لا يصبح مشروعًا بطول الزمن.

ومع بناء القوة؛ لأن الله أمر بالإعداد. ومع السياسة الحكيمة؛ لأن الشرع اعتبر القدرة والمآلات.

ومع ضبط الحرب بأحكامها؛ لأن العدل واجب حتى مع الخصوم.

وهو في الوقت نفسه ضد الفوضى، وضد المتاجرة، وضد استباحة المحرمات باسم فلسطين، وضد استخدام فلسطين بوابة لتمرير باطل عقدي أو سياسي.

فالمنهج السلفي لا يطفئ الغيرة؛ بل يهذبها، ولا يعطل النصرة؛ بل يصحح طريقها، ولا يطلب من المسلم أن يتجرد من عاطفته؛ بل أن يجعل عاطفته تابعة للوحي لا حاكمة عليه.

فلسطين تحتاج من يخدمها لا من يزايد عليها؛

إن قضية فلسطين لا تحتاج إلى خطابين متقابلين؛

خطاب يحول الدماء إلى مادة للحماسة؛ بلا علم، ولا حساب للمآلات.

وخطاب يتحدث عن الحكمة حتى تكاد فلسطين تحتفي من دائرة المسؤولية.

إنها تحتاج إلى منهج ثالث هو في الحقيقة منهج الوحي:

حق لا يباع، ونصرة لا تعطل، وشرع لا يتجاوز، وعقل لا يلغى.

ناصر المستضعفين، نغيث المنكوبين، نحفظ الحقوق، نقاوم مشاريع التهجير والاقتلاع بالوسائل المشروعة، نبني القوة التي أمر الله ببنائها، ونرفض أن تكون دماء المسلمين سلعة لمن يريد أن يصنع لنفسه بطولة أو نفوذًا أو مالًا.

فلسطين لا تحتاج من يزايد عليها؛ وإنما من يخدمها.

ولا تحتاج من يستهلك دماء أهلها؛ وإنما من يحفظها.

ولا تحتاج من يجعلها جسرًا إلى مشروعه؛ وإنما من يجعل علمه وماله وإعلامه وسياساته وقوته في خدمة الحق والعدل وأهل فلسطين.

وهكذا يكون المنهج السلفي حيا كما جاء به الوحي: علمًا يمنع الجهل، وعدلاً يمنع الهوى، وحكمة تمنع التهور، وشجاعة تمنع التخاذل، ورحمة لا تسمح لنا أن نشاهد جراح المسلمين ثم نسمي اللامبالاة فقهاً. ■



**من تحذير الملك حسين إلى «الهلل الشيعي»...
حين يسبق الاستشرف الكارثة**

ایران

الهلال
الشيعة

سوريا

العراق

الأردن

السعودية

شارب
SHARP
تلفزيونات كبرى

BK

القابس

...and


الخزامي
 لمهندسي
 مقاولات الهندسة والبناء
24-947 801
 هاتف شتات - دمشق - سورية العربية
 المهندسون: المهندس خالد الخزامي
 المهندس محمد الخزامي
 (فصل 10 - دمشق) - هاتف 24947801
 39 00000000 + 222 - 55 KENY - 06 777700

الحسين: قم ستحكم العالم العربي إذا استمرت فرقتنا

■ **الخبز** - تخبز الخبز في الفرن الكهربائي على درجة حرارة 180 درجة مئوية لمدة 30 دقيقة.

القُبْسَن تَكْشِفُ أَسْبَابَ
عَزْلِ بَوْرَقِصَةِ

■ شان بېقىن ھۆرمەت مەلۇمات — ۱۹۹۵-يىلى ۵-ئىيۇن

[illegible]

مكتبة
دار الكتب
مكتبة
دار الكتب
مكتبة
دار الكتب



Handwritten text in Arabic script, likely a continuation of the previous page.

General of the Army

Handwritten text in Urdu script, likely a signature or a line of poetry.

تاريخ الشرق الأوسط

قضايا الأمة

الاستشراف السياسي

ليست أعظم الكلمات السياسية تلك التي تصف الحوادث بعد وقوعها، وإنما تلك التي تلتقط من اضطراب الحاضر ملامح المستقبل، وتحذر من النهاية يوم لا يزال الناس مختلفين في قراءة البداية.

في نوفمبر ١٩٨٧م، كانت الحرب العراقية-الإيرانية تقترب من نهايتها، وكان العالم العربي والإسلامي مثقلًا بالخلافات والحسابات المتعارضة، حين أطلق الملك الأردني الحسين بن طلال، في القمة العربية الاستثنائية في عمان، تحذيره الذي بقي يتردد بعد ذلك عقودًا: "قم ستحكم العالم العربي إذا استمرت فرقتنا".^(١)

لم تكن العبارة نبوءة، وإنما قراءة سياسية مبكرة لقانون تتكرر شواهد في التاريخ: حين يضعف الداخل، يتقدم الخارج؛ وحين تنتشظى الأمة، تصبح مشاريع الآخرين أكثر قدرة على الحركة داخلها. لم يكن المقصود أن جيوشًا ستخرج من قم لتحتل العواصم العربية، فالمشهد كان أعقد من الاحتلال التقليدي. كان الخطر أن تتراجع قدرة العرب على إدارة شؤونهم،

(١) صحيفة القبس الكويتية، أرشيف عام ١٩٨٧م، بعنوان: "الملك حسين في افتتاح القمة العربية الطارئة: "قم" ستحكم العالم العربي إذا استمرت فرقتنا"، ضمن تغطية القمة العربية الطارئة في عمان.

وأن تنشأ فراغات سياسية وأمنية وهوياتية تتقدم القوى الإقليمية لملئها.

ثم مضت سبعة عشر عامًا. سقطت بغداد سنة ٢٠٠٣م، وانهار واحد من أهم مراكز التوازن في المنطقة، وانفتح العراق على مرحلة جديدة من الصراع السياسي والأمني والهوياتي.

وفي ديسمبر ٢٠٠٤م، جاء التحذير الثاني من عمان نفسها، حين تحدث الملك عبد الله الثاني عن خطر تشكل ما عرف بعد ذلك بمصطلح "الهلال الشيعي": أي امتداد نفوذ سياسي وإقليمي يبدأ من إيران، ويمر بالعراق، ويتصل بسوريا ولبنان، بما قد يغير موازين القوى في المنطقة.^(٢)

كان تحذير الملك حسين يرى الفراغ. وكان تحذير الملك عبد الله الثاني يرى الخريطة التي قد يرسمها من يملأ ذلك الفراغ.

ثم جاءت السنوات اللاحقة لتجعل الصورة أكثر وضوحًا.

لم تعتمد إيران في تمددها الإقليمي على

Robin Wright & Peter Baker, "Iraq, Jordan (٢) See Threat to Election From Iran: Leaders Warn Against Forming Religious State," The Washington Post, December ٨, ٢٠٠٤. وفي المقابلة تحدث الملك عبد الله الثاني عن احتمال نشوء "crescent" يمتد من إيران إلى العراق وسوريا ولبنان.



أما الخطر الذي يجب أن يدرس فهو
توظيف المذهب والطائفة لخدمة مشروع
دولة، وتحويل الانتماء العابر للحدود إلى
أداة نفوذ قد تتقدم، في بعض الحالات، على
الولاء للدولة والمجتمع.

والتفريق بين هذين المستويين ليس
محاكمة سياسية، بل ضرورة في فهم الصراع؛
لأن من يخطئ في تحديد خصمه قد يهدر
طاقته في خصومات اجتماعية ومذهبية،
بينما يترك المشروع السياسي الحقيقي
يعمل في العمق.

لكن السؤال الأهم ليس:

كيف استطاعت إيران أن تتمدد؟

بل:

لماذا وجدت هذا القدر من الفراغ الذي
سمح لها بالتتمدد؟
هنا تبدأ المحاسبة الحقيقية.

فالنفوذ الخارجي لا يصنع قوته بنفسه
دائمًا؛ بل كثيرًا ما يستمدّها من ضعف
الآخرين.

حين تضعف الدولة، وتنهار الثقة
بالمؤسسات، ويستشري الفساد، وتتراكم
المظالم، وتتحول الخصومات الداخلية إلى
صراع على الاستقواء بالخارج، يصبح الوطن
مفتوحًا أمام القوى الإقليمية والدولية.

نموذج الاحتلال العسكري المباشر وحده،
بل بنت نموذجًا أكثر مرونة وتعقيدًا: حلفاء
محليين، وأحزابًا سياسية، وجماعات مسلحة،
وشبكات اقتصادية وإعلامية واجتماعية،
وعلاقات تتجاوز الحدود الرسمية للدول.

وأصبحت الجماعات المسلحة المتحالفة
مع طهران، وما يرتبط بها من شبكات
سياسية وأمنية، إحدى أهم أدوات نفوذها
في المنطقة^(٣).^(٤)

لكن القراءة الجادة لهذا المشهد تقتضي
قدرًا كبيرًا من الدقة.

فالمشكلة ليست في ملايين الناس
لمجرد انتمائهم المذهبي أو الطائفي، ولا
يصح اختزالهم جميعًا في مشروع سياسي
واحد.

فالخلاف العقدي شيء، والمشروع
الجيوسياسي شيء آخر.

Kali Robinson & Will Merrow, "Iran's (٣)
Regional Armed Network," Council on
Foreign Relations, updated April ١٥, ٢٠٢٤.
وتعرض الدراسة شبكة القوى المسلحة المتحالفة مع
إيران، ودور الحرس الثوري وفيلق القدس في التدريب
والتسليح والتمويل ودعم أهداف طهران الإقليمية.

Philip Loft, Iran's Influence in the Middle (٤)
East, House of Commons Library, Research
Briefing, July ٢٥, ٢٠٢٤. ويتناول التقرير بناء إيران
نفوذها الإقليمي من خلال الجماعات المسلحة والحلفاء
غير الحكوميين في لبنان والعراق وسوريا واليمن وغيرها.



وهنا تقع المفارقة القاسية:

يظن بعض السياسيين أنهم يستعينون بالخارج ليقووا مواقعهم في الداخل، ثم يكتشفون متأخرين أن الخارج هو الذي استعان بهم لتقوية موقعه في بلادهم. وهذه المأساة تكررت في أكثر من بلد. ومن هنا تنتقل القضية من السياسة إلى ما هو أعمق منها.

فالسؤال لم يعد فقط: كيف نواجه مشروعًا خارجيًا؟ بل:

كيف نبني مجتمعًا لا يستطيع المشروع الخارجي أن يجد فيه بوابة يدخل منها؟ وهنا تأتي مسؤولية أهل السنة والجماعة. نحن لا نحتاج إلى مشروع طائفي مضاد. ولا إلى ميليشيا سنية تقابل ميليشيا شيعية.

ولا إلى تحويل الصراع السياسي إلى حرب مذهبية مفتوحة؛ فهذه الوصفة قد تدمر الجميع، ولا تبني دولة، ولا تحفظ مجتمعًا، ولا تمنح الأمة سيادة.

إن المسؤولية الأعمق هي أن نبني مناعة عقدية ومنهجية وعلمية ومجتمعية تمنع الفراغ أصلًا.

وهنا تظهر العلاقة التي يغفل عنها كثيرون

بين العقيدة والسياسة.

فالتوحيد ليس درسًا نظريًا معزولًا عن الحياة.

التوحيد يحرر القلب من عبودية الأشخاص والأحزاب، ويمنع أن يتحول الزعيم إلى مرجعية مقدسة، أو التنظيم إلى وطن، أو المصلحة الحزبية إلى دين يوالى ويعادى عليه.

ومن عرف أن الولاء الأعلى لله ورسوله، لم يبع دينه لتنظيم، ولم يجعل حزبه ميزان الحق، ولم يختزل الأمة في جماعته.

والسنة تضبط الحماس، وتكبح الفوضى، وتحفظ الدماء، وتمنع الانفصال السياسي من أن يهدم في ساعة ما يحتاج بناؤه إلى أجيال.

والعلم يحصن الشباب من الشعارات. والعدل يغلق أبواب الاستثمار في المظالم.

ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم يمنع أن يتحول كل خلاف إلى تمرد، وكل خصومة إلى اقتتال.

وفقه المصالح والمفاسد يحول دون أن يصبح أبناء الأمة وقودًا في مشروعات لا يعرفون من رسم خرائطها، ولا من سيقطف ثمارها.



لهذا فإن معركة أهل السنة والجماعة في هذا العصر ليست معركة صراخ، وإنما معركة بناء:

بناء عالم يفهم الوحي ويفهم الواقع.
وبناء طالب علم لا تحتطفه الحزبية.
وبناء شاب قوي العقيدة، واسع البصيرة، لا يبيعه المتطرف شعارًا، ولا يستدرجه السياسي إلى معركة ليست معركته.
وبناء مؤسسات لا تنهار بموت الأشخاص.

وبناء مجتمع يحل نزاعاته من داخله.
وبناء دولة تكون مؤسساتها أقوى من الأحزاب، وقانونها أقوى من الميليشيات، وقرارها أقوى من المال السياسي الخارجي.
إن المشروع الخارجي لا يدخل من الحدود وحدها.

بل يدخل من الشقوق.
يدخل من مظلمة لم تعالج.
ومن جهل لم يجد عالمًا.
ومن فقر استثماره صاحب المال.
ومن غضب استثماره صاحب السلاح.
ومن انقسام داخلي وجد فيه الخارج طريقًا مختصرًا إلى القرار الوطني.

ولهذا فإن الدفاع الحقيقي عن المجتمعات لا يبدأ عند الحدود فقط؛ بل

يبدأ في المدرسة، والمسجد، والجامعة، والمحكمة، والإدارة، ومؤسسات الدولة.
لقد ركز كثيرون في عبارة الملك حسين على كلمة "قم"، لكن الكلمة الأخطر كانت في آخر الجملة: "إذا استمرت فرقتنا".

هنا موضع الداء.
فايران قد تقوى وتضعف، وتتغير الحكومات والتحالفات، وتصعد قوى إقليمية وتهبط أخرى، لكن القانون يبقى: كل أمة تصنع فراغًا في داخلها ستجد من يتقدم لملئه.

ومن ثم فإن الرسالة لأهل السنة والجماعة ليست:
خافوا من إيران.
بل:

حصنوا أنفسكم حتى لا تحتاجوا إلى الخوف من أحد.

استردوا العلم من الجهل.
والمنهج من التحزب.
والشباب من الغلو.
والمجتمع من الاستقطاب.
والدولة من الميليشيات.
والقرار من الارتهان للخارج.

هذه هي الثورة الهادئة التي نحتاجها: ثورة توحيد على عبادة الأشخاص، وعلم



على الجهل، ومنهج على الفوضى، وعدل على المظالم، ومؤسسة على الفرد، واجتماع على الفرقة، وسيادة على الارتهان.

لقد حذر الملك حسين من "قم".

وحذر الملك عبد الله الثاني من "الهلال الشيعي".

أما الدرس الذي ينبغي أن يبقى بعد كل ذلك، فهو أبعد من قم والهلال معًا:

الخارج لا يبدأ حكمه يوم يدخل العاصمة، بل يوم يفقد أهلها القدرة على إدارة اختلافاتهم بأنفسهم.

ولهذا فإن أخطر ما يمكن أن نصنعه لخصومنا ليس أن نمنحهم السلاح، بل أن نمنحهم الفراغ.

قم لم تكن الدرس كله.

الفرقة كانت الدرس الأكبر.

وحين تمسك الأمة بعقيدتها، وعلمها، ووحدتها، ومؤسساتها، وقرارها، تضيق أبواب الاختراق مهما عظم ضغط الخارج.

أما حين تتنازع، وتتحزب، ويستقوي بعضها على بعض، فإن الخصم لا يحتاج إلى أن يكسر أبوابها؛ لأنها تكون قد فتحتها له من الداخل.

وقم لن تحكمنا... إلا إذا تفرقنا. ■

استيقظوا يا أهل الأردن

الأردن اليوم بين خطر مشروعين مختلفين في الأدوات، متقاربين في أثرهما على أمنه وسيادته.

من الغرب، مشروع صهيوني جغرافي وديموغرافي يتقدم في الضفة الغربية والقدس بالاستيطان والضم وفرض الوقائع، ويحمل في أخطر سيناريوهاته احتمالات التهجير؛ وهو ما يمس الأردن مباشرة في حدوده وأمنه وتوازنه الديموغرافي ودوره التاريخي تجاه فلسطين والقدس.

ومن الشرق مشروع إيراني صفوي رافضي يعتمد على الحلفاء المحليين، والمليشيات المسلحة، والاختراق السياسي والأمني، والولاءات العابرة للحدود؛ بما يحول مناطق النفوذ المحيطة بالأردن إلى أدوات ضغط واستنزاف وتهديد مستمر.

الخطر إذن ليس اجتياحًا عسكريًا مباشرًا فحسب، بل ضغط استراتيجي مركب: من الغرب تغيير للجغرافيا والسكان، ومن الشرق شبكات نفوذ وسلاح. فاستيقظوا يا أهل الأردن.

المطلوب اليوم ليس الخوف، بل العمل: تحصين الجبهة الداخلية، وتقوية الجيش والمؤسسات، وحماية الشباب من الاستقطاب، ورفض التهجير والمليشيات والمال السياسي الخارجي، وبناء وعي وطني يجمع الأردنيين حول عقيدتهم السنية وحماية دولتهم وسيادتهم ومصالحهم العليا.

احموا الأردن: بوحدتكم ووعيكم ومؤسساتكم؛ فالوطن الذي يحرس قراره من الداخل يصعب على مشروعات الخارج أن ترسم مستقبله.



لماذا لن تموت قضية فلسطين؟

الشيخ ابو المنذر البدراني الغزي



أما فلسطين؛ فليست كذلك:

إنها قضية لم يصنعها السياسيون، ولم تنشأ الجغرافيا، ولم تحفظها المؤتمرات، وإنما حفظها الوحي، وربطها الله بكتابه الذي تكفل بحفظه إلى قيام الساعة.

ولهذا بقيت حيّة في وجدان أهل السنة والجماعة وعقولهم وقلوبهم، مهما حاول الناس تجاهلها، ومهما طال عليها ليل الاحتلال.

وليس ذلك شعارًا عاطفيًا، وإنما حقيقة

فلسطين في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1].

تموت القضايا حين ترتبط بالأشخاص؛ فإذا ماتوا ماتت معهم، أو ترتبط بالدول؛ فإذا سقطت سقطت بسقوطها، أو تقوم على المصالح؛ فإذا تغيرت المصالح انصرف الناس عنها.

يشهد لها القرآن الكريم.

أولاً: لأنها أرض باركها الله:

لم يقل المسلمون إن فلسطين مباركة، وإنما قال رب العالمين: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُولُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقال: ﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالأرض المباركة: بلاد الشام، وأن فلسطين والمسجد الأقصى قلب هذه البركة: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فالبركة هنا ليست وصفًا سياسيًا، ولا شعارًا تاريخيًا، وإنما شهادة من الله، وشهادة الله لا يغيرها احتلال، ولا يبطلها طغيان.

ثانيًا: لأنها أرض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قَلَّ أَنْ يَجْتَمَعَ فِي بَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَمَا اجْتَمَعَ فِي فَلسطين.

ففيها إبراهيم، ولوط، وإسحاق، ويعقوب

ويوسف، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

فهي سجل الرسائل، وملتقى النبوات، ومسرح الصراع القديم بين التوحيد والشرك.

ولهذا بقيت حاضرة في وجدان المؤمنين.

ثالثًا: لأنها القبلة الأولى:

ظل رسول الله ﷺ وأصحابه يتوجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا بعد الهجرة.

ولو لم يكن للمسجد الأقصى منزلة عظيمة؛ لما جعله الله قبلة لعباده في أول الإسلام.

فبقي هذا التشريف شاهدًا خالدًا على مكانته في عقيدة المسلمين.

رابعًا: لأنها مسرى رسول الله ﷺ:

اختار الله أن تبدأ أعظم رحلة أرضية في تاريخ البشرية من المسجد الحرام، وأن تنتهي في المسجد الأقصى.

فجمع بين أطهر مسجدين في آية واحدة، وربط بينهما إلى قيام الساعة.

ومنذ نزلت سورة الإسراء؛ أصبح ذكر المسجد الأقصى جزءًا من القرآن الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.



خامسًا: لأنها بوابة المعراج:

ولو شاء الله لعرج بنبيه ﷺ من مكة مباشرة؛ لكنه شاء أن يكون العروج من المسجد الأقصى؛ ليبقى هذا المكان شاهدًا على أعظم معجزة بعد نزول القرآن.

فاجتمع لفلسطين شرف البركة، وشرف النبوات، وشرف القبلة، وشرف الإسراء، وشرف المعراج.

فأي أرض بعد هذا يمكن أن ينساها المؤمنون؟

ولهذا لن تموت قضية فلسطين الأرض المقدسة؛ لأن الذي ذكرها هو الله سبحانه وتعالى.

وما دام القرآن يتلى؛ فسيبقى المسجد الأقصى حيًّا في عقيدة المسلمين، وستبقى فلسطين حاضرة في وجدان الأمة الإسلامية، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وإذا كان القرآن قد قرر هذه المكانة العظيمة لفلسطين، فإن السنة النبوية جاءت تؤكدتها وتزيدها بيانًا، وهو ما سيكون موضوع الحلقة الثانية بإذن الله. ■

ينظر القرآن إلى فلسطين ضمن منظومة تتجاوز حدود الجغرافيا والسياسة؛ فهي أرض ارتبطت بتاريخ النبوات، والمسجد الأقصى، وميراث إبراهيم، كما ارتبط ذكرها بسنن الإيمان والانحراف، والعدل والظلم، والتدافع بين الحق والباطل. ومن هنا؛ فإن علاقتها بالعقيدة السلفية ليست علاقة توظيف سياسي للعقيدة، ولا اختزال للقضية في شعار ديني، وإنما علاقة ميزان معرفي وأخلاقي يضبط فهم القضية ومواقف المسلمين منها.

فالعقيدة السلفية تعيد فلسطين إلى مرجعية الوحي: فلا تجعل عظمة القضية مسوغًا لتعطيل التوحيد، ولا حرارة الصراع مبررًا لتجاوز السنة، ولا عداوة المحتل سببًا لتصحيح كل من يقاومه أو تركية كل مشروع يرفع راية فلسطين. وفي قلب هذا الميزان يأتي التوحيد؛ فهو الذي يحرر القلب من الخوف والذل لغير الله، ويصحح النيات والولاءات، ويجعل نصره فلسطين عبادة منضبطة لا اندفاعًا عاطفيًا مجردًا.

إن فلسطين تحتاج إلى قوة ووعي وصبر ووحدة على الحق، لكن هذه المعاني تفقد اتجاهها إذا انفصلت عن بؤصلة الوحي. ومن أراد نصره الأقصى حقًا؛ فلا يفصل معركة الأرض عن معركة التوحيد والوعي؛ فبالأولى تسترد الحقوق، وبالثانية يحفظ معنى النصر ووجهته وغايته.



هل أعطى الله فلسطين لليهود؟

الدكتور أنس محمود الربابعة



أعطى فلسطين لليهود، ومن ثم؛ فإن وجودهم السياسي فيها اليوم ليس إلا تنفيذًا لوعد إلهي قديم. لكن هذا الاستدلال لا يصمد أمام قراءة الآية في سياقها، ولا أمام تفسير أئمة الإسلام لها، فضلًا عن أنه يقوم على خلط تاريخي ومنهجي بين بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام، واليهودية بوصفها ديانة، والصهيونية بوصفها مشروعًا قوميًا سياسيًا حديثًا.

شبهة ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١].

من أكثر الشبهات تداولًا في محاولة إضفاء شرعية دينية على المشروع الصهيوني، الاستدلال بقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١].

فيقال: إن القرآن نفسه يشهد بأن الله



والجواب عن هذه الشبهة يتضح من وجوه عدة:

أولاً: الآية خطاب لبني إسرائيل في زمن موسى، لا صك ملكية لكل يهودي إلى قيام الساعة:

افتتح موسى عليه السلام خطابه بقوله: ﴿يَقَوْمُ﴾.

فالخطاب موجه إلى جماعة بعينها من بني إسرائيل في سياق أمرهم بدخول الأرض المقدسة.

قال الإمام الطبري: "وهذا خبر من الله عز ذكره عن قول موسى لقومه من بني إسرائيل، وأمره إياهم بدخول الأرض المقدسة".

وليس في الآية أن الله كتب الأرض لهم ولذريتهم إلى قيام الساعة، ولا أنها ملك حصري أبدي لكل من انتسب إلى اليهودية، ولا أنها تمنح جماعة تأتي بعد آلاف السنين حق إخراج السكان الموجودين فيها.

فإثبات حكم لبني إسرائيل في مرحلة تاريخية شيء، وتحويل ذلك إلى حق عرقي سياسي أبدي شيء آخر يحتاج إلى دليل مستقل.

ثانياً: ماذا قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ؟﴾

وهذه من أهم نقاط المسألة.

ذكر الطبري عدة معان منقولة عن السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. فنقل عن ابن إسحاق: "التي وهب الله لكم".

ونقل عن السدي: "التي أمركم الله بها". وفسر الطبري الكتابة بما يفيد إثباتها لبني إسرائيل مساكن ومنازل في القدر، ثم ناقش الإشكال الناتج عن تحريمها على الجيل الذي عصى موسى عليه السلام.

والأصح من ذلك قول ابن كثير: "التي كتب الله لكم: أي التي وعدكموها الله... أنه وراثته من آمن منكم".

وتأمل هذا القيد: "من آمن منكم". فلم يجعل ابن كثير الأمر امتيازاً عرقياً مطلقاً، وإنما ربطه بالإيمان.

وهذا فارق جوهري بين القراءة القرآنية والقراءة القومية الصهيونية.

ثالثاً: القرآن نفسه يفسر معنى الكتابة: لو كانت عبارة ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، تعني: ملكية عرقية أبدية لا تسقط؛ فإن الآيات التالية مباشرة تثير سؤالاً لا يمكن تجاهله.

رفض بنو إسرائيل دخول الأرض وقالوا: ﴿يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا﴾



فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَلْعِدُونَ ﴿٢٤﴾
[المائدة: ٢٤].

فجاء الحكم الإلهي: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ
أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة:
٢٦].

وهذه مقابلة قرآنية بالغة الدلالة: ﴿كَتَبَ
اللَّهُ لَكُمْ﴾، ثم: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.
فالجيل الذي خوطب بالدخول حرم منها
أربعين سنة بسبب عصيانه.

ولهذا يشرح ابن كثير: أن موسى عليه
السلام أمرهم بالدخول والقتال وبشرهم
بالنصر، "فنكلوا وعصوا وخالفوا أمره"
فعوقبوا بالتيه أربعين سنة.

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا
تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾: "لا ترجعوا عن طاعتي
وما أمرتكم به من قتال الجبارين".

إذن؛ فالآية تتحدث عن أمر إلهي وتكليف
ووعد في سياق محدد، لا عن سند عقاري
أبدي منفصل عن الإيمان والطاعة.

رابعًا: القرآن يقرر أن الأرض ملك لله لا
لعرق:

هناك قاعدة قرآنية كبرى تحكم المسألة
كلها، وهي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ
يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[الأعراف: ١٢٨].

فالأرض في التصور القرآني ليست ملكًا ذاتيًا
أبديًا لجنس أو عرق:
﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾، والله يورثها من يشاء
وفق حكمته وسننه.

ثم ختم الآية لا بالعرق ولا بالنسب، وإنما
بقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

خامسًا: العهد الإلهي لا يتحول إلى امتياز
وراثي للظالم:

هذه القاعدة قررها القرآن منذ إبراهيم
عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:
١٢٤].

إبراهيم عليه السلام نفسه طلب الإمامة
لذريته، فلم يجعلها الله امتيازًا وراثيًا مطلقًا،
بل قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فإذا كان عهد الإمامة نفسه لا يستحقه
الإنسان لمجرد انتسابه إلى إبراهيم، فكيف
يجعل النسب وحده أساسًا لملكية سياسية
أبدية للأرض؟

سادسًا: بنو إسرائيل ليسوا الصهيونية:
وهنا يقع أحد أكبر الأخطاء المنهجية.
يجب التفريق بين: بني إسرائيل واليهود



الصهاينة.

فبنو إسرائيل هم ذرية يعقوب عليه السلام، وفيهم أنبياء الله: يوسف، وموسى وداود، وسليمان، وغيرهم، وفيهم المؤمن والعاصي.

أما اليهودية الصهيونية الحديثة فقد نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر ضمن سياقات قومية وسياسية حديثة.

ولذلك؛ فإن تحويل خطاب موسى عليه الصلاة والسلام لقومه قبل آلاف السنين إلى تفويض شرعي لحركة سياسية حديثة قفزة لا يجيزها النص ولا التاريخ ولا العقل ولا القانون!

بل إن المسلمين يؤمنون بموسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، ويجلونهم أنبياء لله، ولا يرون رسالاتهم مشاريع قومية عرقية.

سابعًا: الإسلام لا ينكر التاريخ:

القوة العلمية لا تكون بإنكار الحقائق: فالقرآن يثبت لبني إسرائيل تاريخًا في الأرض المقدسة؛ كما يثبت ملك داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

لكن السؤال ليس: هل عاش بنو إسرائيل في فلسطين؟

فهذا ثابت.

وإنما السؤال: هل يعني ذلك أن كل يهودي بعد آلاف السنين يمتلك حقًا إلهيًا أبديًا وحصريًا في الأرض، ولو أدى تطبيق هذا الادعاء إلى اقتلاع أناس يعيشون فيها؟ وهذا أمر مختلف تمامًا.

فالوجود التاريخي لا يساوي ملكية سياسية أبدية.

ولو فتح هذا الباب؛ لأصبح من حق كل أمة حكمت أرضًا قبل ألفي سنة أن تطالب اليوم بطرد سكانها واستعادتها.

وعندها لن تبقى حدود مستقرة على وجه الأرض.

ثامنًا: لا يجوز تحويل وعد ديني إلى ترخيص بالظلم:

حتى لو ثبت حق تاريخي لجماعة في أرض ما، فلا يمكن أن يصبح ذلك مسوغًا لظلم إنسان معاصر.

فالقرآن نفسه يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ويقول: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

فلا يمكن الاحتجاج بالقرآن لتسويغ ما



يحرمه القرآن نفسه من الظلم والعدوان.

تاسعاً: خذ القرآن كله... لا نصف آية:

وهنا يظهر الخلل الأكبر في الشبهة:

من يحتج بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ

لَكُمْ﴾؛ عليه أن يكمل القراءة: ﴿فَإِنَّهَا

مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾، وأن يقرأ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ﴾،

وأن يقرأ: ﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، وأن يقرأ:

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

ثم يعود إلى ابن كثير فيجد قوله: "وراثه

من آمن منكم".

عندئذ تنهاوى دعوى أن القرآن منح أرض

فلسطين ملكية عرقية مطلقة لكل يهودي

إلى نهاية التاريخ.

الآية حجة على الشبهة لا لها:

قوله تعالى: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ

الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، يثبت أن الله أمر

بني إسرائيل في زمن موسى عليه الصلاة

والسلام بدخول الأرض المقدسة، وأنها

كانت مكتوبة لهم بالمعنى الذي شرحه

المفسرون.

لكنه لا يقول: إن الأرض ملك أبدي لكل

يهودي إلى قيام الساعة.

ولا يقول: إن الوعد ينتقل تلقائياً إلى كل

من انتسب إلى اليهودية.

ولا يقول: إن النسب يبيح الظلم أو إخراج

الآخرين من ديارهم.

بل إن السياق نفسه يسجل أن الجيل

المخاطب عوقب، وحرمت عليه الأرض

أربعين سنة حين عصى.

وأبلغ من ذلك: أن ابن كثير -وهو يفسر

العبارة نفسها- يقول إنها: "وراثه من آمن

منكم".

إذن؛ فالمشكلة ليست في القرآن، وإنما

في اقتطاع عبارة من سياقها، وفصلها عن

شروطها، ثم نقلها عبر آلاف السنين؛

لتحويل خبر وتكليف لبني إسرائيل في زمن

موسى إلى سند ملكية قومي لحركة سياسية

حديثه.

والقاعدة القرآنية التي تحكم القضية

أبقى وأوضح من كل توظيف سياسي

للنص: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا

مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ﴾.

هذه ليست آية تمنح الأرض لعرق

إلى الأبد، بل قرآن يقرر أن الأرض لله،

والعهد لا يناله الظالمون، والعاقبة

للمتقين. ■



أخطر عشرة مفاهيم خاطئة

حول

قضية فلسطين

الأستاذ ياسر حمد السويلم



فلسطين
أرض بلا شعب؟

الصراع ديني
وليس سياسي؟

ليست قضية
المسلمين؟

السلام يعني
التنازل؟

ليهود حق تاريخي
مطلق؟



ليست أخطر المعارك هي التي تخاض بالسلح وحنه، بل تلك التي تخاض في الوعي. فالقضية الفلسطينية لم تحاصر بالجغرافيا والسياسة فقط، وإنما حوصرت كذلك بسلسلة من المفاهيم الخطأ التي شوهت الفهم، وبدلت ترتيب الأولويات، وحولت كثيرًا من النقاش حول فلسطين من بحث عن الحقيقة إلى تكرار لشعارات متعارضة.

وإذا أردنا بناء وعي راسخ بالقضية؛ فلا يكفي أن نعرف الوقائع، بل لا بد أن نكشف الأفكار المغلوطة التي تشكل طريقة قراءة تلك الوقائع؛ لأن الخطأ في المفهوم يقود إلى خطأ في الموقف، والخطأ في الموقف يتحول إلى خسارة في الميدان والسياسة والتاريخ.

وفيما يأتي أخطر عشرة مفاهيم خاطئة عن فلسطين:

١- فلسطين مجرد نزاع حدودي بين طرفين. هذا من أكثر المفاهيم تضليلًا؛ لأنه يفرغ القضية من جذورها التاريخية والسياسية. القضية ليست خلافًا ساذجًا على خط حدود، ولا نزاعًا عقاريًا بين جماعتين متجاورتين، وإنما قضية شعب تعرض للتهجير والاقتل والاسيطان، وأرض تغير واقعها السياسي والديمقراطي بالقوة.

حين توصف القضية بأنها "نزاع بين طرفين"، تختفي أسئلة وجودية جوهرية: من هجر؟ من صودرت أرضه؟ من يعيش تحت الاحتلال؟ من يملك القوة العسكرية والسيادة على المعابر والحدود؟ اللغة هنا ليست محايدة؛ فهي قد تساوي بين واقع الاحتلال ومن يقع عليه أثره، وبين من يملك أدوات القوة ومن يطالب بحقه.

٢- القضية الفلسطينية قضية الفلسطينيين وحدهم: هذا اختزال شديد الخطورة.

فلسطين قضية الفلسطيني أولاً بحكم الأرض والوجود المباشر؛ لكنها ليست شأنًا محليًا منعزلًا؛ فهي تتصل بالقدس والمقدسات، وبالأمن الإقليمي، وبالتوازنات العربية والإسلامية، وبحسابات القوى الدولية.

كما أن آثار الصراع لم تبق داخل فلسطين؛ بل امتدت إلى الحروب واللجوء والتحالفات والصراعات الإقليمية ومسارات الأمن والطاقة والممرات الدولية.

ومن يتعامل مع فلسطين بوصفها قضية شعب معزول لا يفهم طبيعة موقعها في تاريخ المنطقة ولا في مستقبلها في مصير الأمة.



٣- كل من يرفع شعار فلسطين يخدم فلسطين:

هذا من أخطر الأوهام.

فلسطين رفعت شعارًا من دول وأحزاب وتنظيمات ومشاريع متباينة؛ لكن رفع اسمها لا يعني أن كل من تحدث باسمها خدمها حقيقة وبصدق.

قد تستخدم القضية أحيانًا لكسب الشرعية، أو توسيع النفوذ، أو تعبئة الجماهير، أو تسويق مشاريع لا تكون مصلحة فلسطين هي مقصدها الأول.

ولهذا؛ فالمعيار الصحيح ليس: من يرفع الشعار؟

بل: ماذا فعل؟ وما نتيجة فعله؟ وهل قوى القضية أم جعلها ورقة في مشروع آخر؟ فلسطين أكبر من أن تكون شعارًا موسميًا أو وسيلة لشرعنة أي قوة أو تنظيم.

٤- كل من يعادي الكيان المحتل حليف لفلسطين:

وهذا مفهوم أكثر خطورة من سابقه.

فالعداء لخصم واحد لا يعني بالضرورة اتفاق المصالح أو الأهداف. قد يعادي طرف الكيان المحتل لأسباب قومية أو أيديولوجية أو جيوسياسية، بينما يحمل مشروعًا آخر يناقض مصالح العرب أو أهل فلسطين أو دول المنطقة.

السياسة لا تبني على قاعدة: عدو عدوي صديقي.

بل على سؤال أدق:

ما مشروع هذا الطرف؟ وما أهدافه النهائية؟ وكيف ينظر إلى فلسطين نفسها؟ وهل يريد تحريرها أم توظيفها؟

وهنا يظهر الفرق بين الحليف الحقيقي وبين من يستخدم القضية ساحة لتصفية حسابات أخرى.

٥- العاطفة وحدها تكفي لنصرة فلسطين :

العاطفة عنصر مهم؛ لكنها إذا انفصلت عن العلم قد تتحول من قوة دافعة إلى مصدر أخطاء.

القضية تحتاج إلى عاطفة تحرك، وعقل يضبط، وعلم يفسر، وتخطيط يحدد الطريق.

فالحروب لا تدار بالمشاعر وحدها، والقضايا التاريخية لا تحسم بكثرة الشعارات والخطب، وإنما تحتاج إلى فهم للواقع، وتقدير للمآلات، ومعرفة بموازين القوى، وقدرة على بناء المؤسسات.

النصرة الحقيقية تبدأ حين تتحول العاطفة إلى وعي، والوعي إلى خطة، والخطة إلى عمل طويل النفس.



٦- الكيان المحتل لا يهزم لأنه أقوى منا مطلقًا:

هذا مفهوم يصنع الهزيمة النفسية قبل الهزيمة الميدانية. صحيح أن هناك تفوقًا عسكريًا وتقنيًا ودعمًا دوليًا واسعًا؛ لكن التاريخ لا يعرف قوة أبدية.

إمبراطوريات كبرى سقطت، واحتلالات انتهت، وموازنين قوى تبدلت.

والقوة ليست سلاحًا فقط، بل اقتصاد، وتحالفات، وتماسك داخلي، وديموغرافيا، وشرعية، وتعليم، وعلم، وإرادة، وقدرة على الصبر.

الخطر ليس في الاعتراف بقوة الخصم، بل في تحويل تفوقه الحالي إلى قدر تاريخي لا يتغير.

٧- كل مواجهة هي نصر بمجرد وقوعها: كما أن اليأس خطأ؛ فإن تمجيد المواجهة العبثية لذاتها خطأ آخر.

ليست كل مواجهة نصرًا، وليست كل خسارة هزيمة، ولا تقاس النتائج بحجم الانفعال الشعبي وحده.

العقل الاستراتيجي يسأل قبل القرار:

ما الهدف؟

ما الوسائل؟

ما الكلفة؟

ما البدائل؟

وما النتيجة بعد عام أو عشرة أعوام؟
فالمواجهة وسيلة وليست غاية، والنصر لا يقاس ببداية المعركة؛ وإنما بما تحقّقه من أهداف وتراكم قوة وما تحفظه من مقدرات. والقضايا الكبرى لا تدار بمنطق اللحظة، بل بمنطق التاريخ.

٨- السلام هو الحل مهما كانت شروطه:
السلام الحقيقي غاية معتبرة إذا قام على العدل وحفظ الحقوق، لكنه لا يصبح حلًا لمجرد تسميته سلامًا.

قد يتحول الاتفاق إلى أداة لإدارة الأزمة بدل حلّها، أو لتجميد القضية، أو لإعطاء الطرف الأقوى وقتًا لفرض وقائع جديدة. ولهذا؛ فالسؤال الصحيح ليس:
هل نريد السلام؟

بل:

أي سلام؟ وعلى أي أساس؟ وبأي ضمانات؟ وما الذي سيحدث بعد توقيعه؟
فالسلام الذي يثبت الظلم لا ينهي الصراع، بل قد يؤجله في صورة أشد تعقيدًا.

٩- الاعتراف الدولي والقانون وحدهما
يعيدان الحقوق:

القانون الدولي مهم، والاعتراف السياسي مهم، والمحاكم والقرارات الأممية أدوات ينبغي استثمارها؛ لكن تحويلها إلى بديل عن



القوة السياسية والمؤسسية وهم.

كم من قرار صدر ولم ينفذ؛ وكم من حق اعترف به العالم ولم تتحول الاعترافات إلى واقع!!

فالحقوق تحتاج إلى قانون؛ لكنها تحتاج كذلك إلى سياسة، وإعلام، واقتصاد، ودبلوماسية، ومؤسسات قادرة على حماية المكاسب وتحويلها إلى واقع.

القانون أداة مهمة؛ لكنه لا يعمل في فراغ؛ وإنما داخل عالم تحكمه كذلك المصالح وموازن القوى.

١٠- تحرير فلسطين يبدأ من الميدان وحده:

وهذا أخطر المفاهيم جميعًا.

تحرير الأرض لا ينفصل عن بناء الإنسان، ولا عن قوة الدولة، ولا عن الاقتصاد والتعليم والعلم والتماسك الاجتماعي.

فالأمة التي تستهلك أكثر مما تنتج، وتختلف أكثر مما تتفق، وتضعف فيها المؤسسات: لا تصنع مشروع تحرير مستدامًا بمجرد امتلاك خطاب حماسي.

مشروع فلسطين يحتاج إلى جيل يبني قبل أن يقاتل، وإلى مؤسسات تنشأ قبل ساعة المواجهة، وإلى علم واقتصاد وإدارة وتربية ووعي.

فالنصر العسكري -إن جاء- هو ثمرة

مسار طويل يبدأ قبل المعركة بسنوات وربما بعقود.

وبالجملة: أخطر ما يهدد فلسطين ليس قوة الخصم وحدها، وإنما الوعي المشوش الذي قد يخدمه من حيث لا يشعر أصحابه: حين تتحول القضية إلى خبر موسمي؛ نخسر عمقها.

وحين تتحول إلى شعار؛ نخسر معناها. وحين نخلط بين الحليف والمستثمر؛ نخسر البوصلة.

وحين نستبدل التخطيط بالعاطفة؛ نخسر القدرة على صناعة المستقبل.

فلسطين ليست مجرد أرض محتلة، ولا مجرد ملف تفاوضي، ولا مجرد قضية حقوقية، ولا مجرد ميدان مواجهة؛ إنها قضية عقيدة، وتاريخ وهوية وحقوق وقوة ووعي ومشروع أمة. ولهذا: فإن أول معركة حقيقية من أجل فلسطين تبدأ قبل الحدود وقبل البنادق: تبدأ في الوعي.

فإذا صح المفهوم: استقام الموقف. وإذا استقام الموقف، أمكن بناء القرار. وإذا بني القرار على علم وقوة وصبر؛ بدأت الأمة تنتقل من رد الفعل إلى صناعة التاريخ. ■



الضفة الغربية... إلى أين؟

الأستاذ معاذ سليم البرقاوي



ليست الضفة الغربية نهر الأردن اليوم أمام موجة توتر عابرة، ولا أمام سلسلة أحداث أمنية منفصلة، وإنما تقف على أعتاب مرحلة جديدة تتسم بتصاعد غير مسبوق في الاعتداءات اليهودية الصهيونية، واتساع المشروع الاستيطاني، وازدياد الضغوط الرامية إلى تغيير هوية الأرض والإنسان. وما جرى في بلدة تل جنوب غربي نابلس، وما تلاه من أحداث في محافظة الخليل، ليس إلا حلقة من مسلسل طويل يراد له أن يعيد رسم مستقبل الضفة الغربية بما يخدم المشروع اليهودي.



غير المدروسة: حينها تدفع الشعوب أثمانا باهظة من دمائها وأمنها وعمرانها. ومهما اختلفت التقديرات السياسية؛ فإن المحافظة على أرواح المسلمين، وصيانة بلادهم، ومنع جرهم إلى كوارث جديدة، مقصد شرعي عظيم لا يجوز التفريط فيه. ومن هنا؛ فإن من واجب العقلاء في الضفة الغربية أن يحذروا من كل مشروع أو خطاب قد يدفع إلى تكرار التجارب التي كانت نتائجها كارثية على السكان، وأن يزنوا الأمور بميزان المصالح والمفاسد، وفق هدي الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، لا بمنطق العواطف والانفعالات أو الشعارات الحماسية الحزبية التي قد تجر إلى مآلات أشد خطرًا.

كما ينبغي الحذر من استغلال حالة الاحتقان الشعبي؛ لتوسيع نفوذ أي فصيل، أو توظيف معاناة الناس في مشاريع حزبية؛ لا تحقق مصلحة الشعب الفلسطيني؛ فإن القضية الفلسطينية أكبر من أن تحتزل في تنظيم أو حركة، وأعظم من أن تجعل ميدانًا للتنافس الحزبي. وقد أثبتت التجارب أن الانقسامات الداخلية والصراعات الفصائلية كانت من أكبر أسباب إضعاف الصف الفلسطيني وإطالة معاناته.

إن الاحتلال اليهودي لا يتحرك بردود أفعال آنية، وإنما وفق مشروع استيطاني متدرج يقوم على فرض الوقائع على الأرض، وتوسيع المستوطنات، وحماية البؤر الاستيطانية، وتقليل الوجود الفلسطيني، حتى يصبح الضم الكامل أمرًا واقعيًا. وهذه السياسات لم تعد خافية، بل يعلنها قادة اليمين اليهودي المتطرف صراحة، ويعملون على تكريسها عمليًا خطوة خطوة.

ومن هنا؛ فإن التغول الصهيوني في الضفة الغربية ليس مجرد تجاوزات أمنية، وإنما هو عدوان منظم يستهدف الأرض والمقدسات والإنسان، ويستغل كل ظرف إقليمي أو دولي لتحقيق مزيد من المكاسب. وما دام هذا المشروع قائمًا؛ فإن الواجب على الأمة ألا تنخدع بالشعارات المؤقتة أو الوعود السياسية، بل عليها أن تدرك طبيعة الصراع، وأبعاده الحقيقية.

غير أن الخطر لا يكمن في المشروع اليهودي الصهيوني وحده، وإنما في الطريقة التي قد تدار بها المواجهة أيضًا.

لقد قدمت غزة خلال السنوات الماضية نموذجًا مؤلمًا لما تؤول إليه القرارات غير المحسوبة والسياسات المراهقة



الحزبية الضيقة:

فالمشروع اليهودي الصهيوني يمضي بخطوات واضحة نحو فرض واقع جديد في الضفة الغربية، ولن يواجهه المسلمون بالنجاح إلا إذا جمعوا بين الإيمان الصحيح، والبصيرة، والحكمة، ووحدة الصف، والإعداد المشروع، واستحضار السنن الربانية التي لا تحابي أحداً.

ويبقى السؤال: الضفة الغربية إلى أين؟ إن الجواب لا يكتبه الاحتلال وحده، ولا تصنعه موازين القوة العسكرية وحدها، وإنما يكتبه - بعد مشيئة الله تعالى - ثبات أهلها، وتمسكهم بدينهم، ووحدتهم على الحق، وحسن تقديرهم للمصالح والمفاسد، ورفضهم لكل ما يزيد مأساتهم أو يكرر التجارب التي دفعت الأمة أثمانها الباهظة. وإذا كان الاحتلال يسعى إلى فرض مستقبل بالقوة؛ فإن المؤمنين يعلمون أن العاقبة للمتقين، وأن وعد الله لا يتخلف، ولكنه لا ينال بالأُماني، وإنما بالإيمان، والصبر، والعمل الصالح، والأخذ بالأسباب التي شرعها رب العالمين. ■

إن المنهج الإسلامي يعلمنا أن النصر لا يتحقق بمجرد الحماسة، ولا بكثرة الشعارات، وإنما بتحقيق شروطه التي بينها الله عز وجل؛ فقال سبحانه: ﴿إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولهذا: فإن أول طريق الثبات هو تصحيح العقيدة، وتجديد التوحيد، والاعتصام بالكتاب والسنة، والبعد عن الغلو والبدع والحزبيات، وجمع الكلمة على الحق؛ فإن الأمة لا تقوى على مواجهة أعدائها وهي ممزقة من الداخل.

وأهل الضفة الغربية اليوم أحوج ما يكونون إلى التماسك، والصبر، والثبات في أرضهم، والمحافظة على وحدتهم المجتمعية، وعدم الانجرار وراء كل دعوة تؤدي إلى الفوضى أو الاحتراب الداخلي أو تدمير ما بقي من مقومات الحياة.

فالثبات على الأرض، والصبر على البلاء، والأخذ بالأسباب المشروعة، من أعظم صور الرباط التي جاءت بها الشريعة.

إن المرحلة المقبلة دقيقة وحساسة، ولا تحمل القرارات المرتجلة ولا الحسابات



فلسطين

في بازار التفاهات الأمريكية الإيرانية

الأستاذ ناصر فهد المرهون



كيف تتاجر طهران بالقضية الفلسطينية حين تفاوض على مصالحها؟ حين تجلس إيران الصفوية إلى طاولة التفاوض مع الولايات المتحدة الصليبية: لا تحضر فلسطين بوصفها قضية مقدسة، ولا بوصفها حقًا تاريخيًا لشعب مظلوم، وإنما تحضر غالبًا بوصفها ورقة في حقيبة التفاوض: ترفع عند الحاجة، وتخفض عند الصفقة، وتستدعى في الخطب، ثم تغيب عند توزيع المكاسب!

هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن تقال بوضوح وشجاعة.

فالنظام الإيراني بنى جزءًا كبيرًا من شرعيته الإقليمية على شعار "نصرة فلسطين"؛ لكنه في اللحظات الحاسمة لا يفاوض باسم فلسطين، وإنما باسم برنامج النووي، وعقوباته، ونفوذه، وممراته، وأذرع، وموقعه في النظام الإقليمي الجديد.

ومن يقرأ مسار التفاهات الأمريكية الإيرانية على مدار نصف قرن بوعي يدرك أن فلسطين ليست في مركز الصفقة، وإنما في هامشها الدعائي.

المركز؛ هو: النووي، والعقوبات، وأمن الخليج، ولبنان، وحسابات الطاقة،

وتوازن الردع، وموقع إيران في الإقليم. أما فلسطين، فهي اللافتة التي ترفعها طهران حين تريد تعبئة الشارع العربي السني، وتخفضها حين تقترب من غرفة المفاوضات.

وهنا يتضح الفرق الكبير بين من يحمل همّ القضية، ومن يتاجر بها.

فمن يحمل همّ فلسطين يجعلها هدفًا، ومن يتاجر بها يجعلها وسيلة.

ومن يحمل همّ فلسطين يدفع الثمن من أجلها، ومن يتاجر بها يجعل دماء أهلها جزءًا من رصيده السياسي.

لقد أتقنت إيران الصفوية منذ قيام ثورتها البائسة صناعة خطاب مزدوج:

خطاب عاطفي موجه إلى الجماهير العربية السنية يتحدث عن القدس والمقاومة والتحرير.

وخطاب سياسي مغلق يدار مع القوى الكبرى أمريكا وأوروبا وإسرائيل بلغة المصالح الصلبة: رفع العقوبات، الاعتراف بالدور الإقليمي، حماية النظام، وتوسيع النفوذ.

في الأول تظهر قضية فلسطين عنوانًا كبيرًا.

وفي الثاني تختفي قضية فلسطين خلف البنود الصغيرة.



وهذا السلوك الإيراني ليس اتفاقاً، وإنما منهج سياسي مكرر.

فإيران لا تتعامل مع فلسطين بوصفها قضية أمة إسلامية مقدسة، وإنما بوصفها جزءاً من هندسة نفوذها في المنطقة؛ لذلك دعمت من يدور في فلکها، وخاصمت من خرج عن حساباتها، ورفعت شعار المقاومة حيث يخدم مشروعها، وسكتت أو ساومت حيث تقتضي مصلحتها.

إن أخطر ما في المتاجرة الإيرانية بفلسطين: أنها لا تكتفي باستغلال القضية، وإنما تعيد تشكيل وعي الجماهير حولها.

فتجعل معيار الصدق في نصره فلسطين هو القرب من محور طهران، ومعيار الخيانة هو الخروج عن هذا المحور، وكأن فلسطين لم تعد قضية الأمة كلها، بل صارت ملكية سياسية لمشروع إقليمي إيراني صفوي.

وهذا من أخطر أشكال الاختطاف:

فلسطين أكبر من إيران، وأكبر من كل المحاور، وأقدم من كل الشعارات الحزبية، وأبقى من كل الأنظمة.

لقد كانت فلسطين قضية الأمة قبل الحميني، وستبقى قضية الأمة بعد كل الأنظمة والمشاريع.

ومن هنا ينبغي أن نسأل السؤال الجوهري:

ماذا رجت فلسطين من هذه التفاهات؟ هل توقفت آلة الاحتلال؟

هل رفع الحصار؟

هل حفظت القدس؟

هل عاد اللاجئين؟

هل أوقفت مشاريع الاستيطان؟

هل صار الفلسطيني أقرب إلى حريته؟

أم أن الرابح الحقيقي هو من خرج

بعقوبات أخف، أو اعتراف أوسع، أو دور

إقليمي أكبر، أو ضمانات أمنية جديدة؟

هذه الأسئلة تكشف الحقيقة أكثر من

ألف خطاب.

فالسياسة لا تقاس بالشعارات، وإنما بالنتائج.

والقضايا العادلة لا تحمي بالهتافات، وإنما بالمواقف الصادقة التي لا تبغيها عند أول تفاوض.

لقد جعلت إيران من فلسطين جسراً

لعبور مشروعها إلى الوجدان السني والعربي

والعالمي. دخلت من باب القدس إلى

عواصم الأمة، ورفعت شعار المقاومة؛

لتغطي تمرداً سياسياً ومذهبياً وعسكرياً

في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغزة.

وحين كان الفلسطينيون يقتلون؛ كانت

طهران تحسب المكاسب والخسائر.

وحين كانت غزة تقصف؛ كانت إيران



تراقب حجم الاستثمار السياسي الممكن.
وحين تفتح طاولة التفاوض، لا يكون
السؤال الإيراني الأول: ماذا لفلسطين؟
بل: ماذا لإيران؟
وهذا هو جوهر المشكلة.
إن المتاجرة بالقضايا الكبرى لا تكون
دائمًا بالتخلي عنها علنًا، بل قد تكون أحيانًا
بأخطر من ذلك: باحتكار الحديث باسمها،
ثم استخدامها في غير مصلحتها.
وهذا ما فعلته إيران الصفوية مرارًا.
احتكرت شعار المقاومة، ثم جعلت
المقاومة جزءًا من شبكة نفوذها.
رفعت اسم القدس، ثم ساومت على
ملفات لا علاقة لها بتحرير القدس.
قدمت نفسها حامية لفلسطين، ثم
قبلت أن تكون فلسطين ورقة ضغط لا بندًا
حاسمًا.
ومن هنا؛ فإن واجب الوعي اليوم أن يميز
بين ثلاث دوائر:
- دائرة فلسطين بوصفها قضية سنية
إسلامية عادلة.
- ودائرة الشعب الفلسطيني بوصفه
صاحب الأرض والحق.
- ودائرة المشاريع الإقليمية التي تتسلل
إلى القضية؛ لتجعلها أداة في صراع النفوذ.
الخلط بين هذه الدوائر هو بداية الخديعة:

فليس كل من رفع شعار فلسطين خادمًا
لها.
وليس كل من هتف للقدس صادقًا في
نصرتها.
وليس كل من سلح فصيلًا أو مول حركة
يريد تحرير الأرض لوجه الله أو لمصلحة
الشعب الفلسطيني.
قد يريد موقعًا على الطاولة.
وقد يريد ورقة في الصفقة.
وقد يريد شرعية في الشارع.
وقد يريد تحويل الدم الفلسطيني إلى
رصيد تفاوضي.
وهنا يجب أن نكون واضحين في رسالتنا:
فلسطين لا تختزل في محور، ولا تباع في
تفاهم، ولا تترك رهينة لمشروع إقليمي،
ولا يجوز أن تتحول من قضية أمة إلى ورقة
في يد نظام.
إن مستقبل فلسطين لا يصنع في بازار
التفاهمات الكبرى وحدها، بل يصنعه وعي
الأمة، واستقلال قرارها، وصدق أبنائها،
وقدرتها على تحرير القضية من الابتزاز
السياسي والتوظيف الطائفي والحسابات
الضيقة.
نعم؛ السياسة الدولية معقدة، والمصالح
حاضرة، والتحالفات تتبدل؛ لكن المبادئ
لا يجوز أن تضيع في الزحام.



ومن أخطر ما يهدد فلسطين اليوم أن تستعمل باسم التحرير لتكريس نفوذ جديد، أو أن ترفع باسم المقاومة لتسويق مشروع لا يقل خطرًا على وعي الأمة من الاحتلال نفسه.

فلسطين تحتاج إلى أمة تحمل همّها، لا إلى محور صفوي يحتكرها.

تحتاج إلى وعي يحررها من الدعاية اليهودية والصليبية والصفوية، لا إلى شعارات تزيدها ارتهاً.

تحتاج إلى جيل تحرير يعرف أن عداة الاحتلال لا يعني تسليم القضية لكل من يرفع راية العداة له، وأن نصرّة فلسطين لا تكون بالارتقاء في أحضان مشاريع تستثمر جراحها ولا تعالجها.

حين تتفاهم واشنطن وطهران، ينبغي ألا نبحت فقط عما رجته إيران، أو ما ضمنته أمريكا، أو ما خسرت الأطراف الأخرى.

ينبغي أن نسأل السؤال الأهم:

أين فلسطين من هذا البازار؟

فإن لم نجد لها أهم بنود الصفقة، ولا في ضمانات السياسة، ولا في نتائج الواقع؛ فاعلم أن حضورها في الخطاب كان حضوراً وظيفياً لا حضوراً حقيقياً.

وحين تصبح قضية فلسطين شعاراً في

المنابر، وغائبة عن موائد القرار؛ فنحن:

أمام متاجرة ومقامرة ومؤامرة لا نصرّة.

وأمام استخدام لا التزام.

وأمام مشروع فاجر يفاوض عروض تاجر

ليقتات على القضية أكثر مما يخدمها.

إن الطريق إلى تحرير فلسطين يبدأ بتحرير

الوعي من الخداع.

وأول الخداع: أن نصدق كل من تكلم

باسمها.

أما الوعي الصادق؛ فيقول: فلسطين

ليست ورقة إيرانية، ولا ملفاً أمريكياً،

ولا شعاراً حمساوياً أو فتحاوياً، ولا مادة

للتفاوض بين العواصم.

فلسطين أمانة أمة.

ومن أراد أن يخدمها؛ فليحمل

همّها، وليضع حق أهلها فوق مصلحة

نظامه.

وليكف عن تحويل دمائها إلى عملة

سياسية صعبة في سوق الصفقات

وبازار التفاهمات.

فهنا فقط يبدأ الفرق بين النصرّة

والمتاجرة.

وهنا فقط نستطيع أن نقول: إن

فلسطين ما زالت قضية الأمة، لا

بضاعة في بازار المتفاوضين.■



هوية فلسطين السنية

كيف فضحت نازلة غزة
المشروع الإيراني؟

الدكتور عبد الرحمن عارف الحمصي



لم تكن نازلة غزة حدثاً عسكرياً عابراً، وإنما كانت نقطة تحول كشفت كثيراً من الحقائق، وأسقطت كثيراً من التصورات التي تراكمت في الوعي العربي والإسلامي خلال العقود الماضية. فالحروب الكبرى لا تغير خرائط الجغرافيا فحسب، وإنما تعيد رسم خرائط الأفكار، وتمتحن صدق الشعارات، وتكشف الفارق بين الخطاب السياسي والواقع العملي.

ومن أكثر المشاريع التي تعرضت لهذا الامتحان المشروع الإيراني، الذي جعل من فلسطين والقدس عنواناً ثابتاً في خطابه منذ قيام الثورة الخمينية عام ١٩٧٩، وقدّم نفسه بوصفه رأس حربة في مواجهة الكيان الأزرق المحتل، حتى أصبح اسم القدس حاضراً في مؤسسات عسكرية وإعلامية وسياسية إيرانية، وأضحى "تحرير فلسطين" أحد أبرز شعاراته.



غير أن الحروب لا تقاس بالشعارات، وإنما بما تكشفه ساعة الامتحان.

لقد قال المرشد الإيراني السابق علي خامنئي في أكثر من مناسبة إن تحرير فلسطين شرف لا تريد إيران أن تشارك الفلسطينيين فيه.

وجاءت نازلة غزة، لتضع هذا الخطاب الإيراني أمام اختبار غير مسبوق. فقد شاع قبل الحرب وأثناء بداياتها حديث عن إمكان انخراط أطراف متعددة فيما يعرف بـ"محور المقاومة" إذا توسعت المواجهة. لكن مجريات الأحداث أظهرت أن حجم المشاركة ظل محدودًا، ولم يتحول إلى مواجهة إقليمية شاملة، بينما تحمل قطاع غزة العبء الأكبر من الحرب، وما خلفته من خسائر بشرية وعمرانية جسيمة.

ومن الوقائع التي استوقفت كثيرًا من المراقبين أيضًا استمرار المسارات الدبلوماسية المتعلقة بالملف الإيراني، في وقت لم تظهر فيه القضية الفلسطينية بوصفها محورًا معلنًا لتلك المسارات بينما حضرت جميع أذرع إيران ومليشياتها في لبنان واليمن والعراق بقوة على طاولة المفاوضات الأمريكية الإيرانية، الأمر الذي دفع عددًا من المحللين إلى التساؤل: إذا كانت فلسطين هي القضية المركزية في

الخطاب الإيراني، فلماذا لم تحتل الموقع نفسه في الأولويات السياسية الإيرانية خلال أخطر مراحل الحرب؟

كما أن التطورات اللاحقة للحرب، وما أثير حول ترتيبات مستقبل قطاع غزة، ومستقبل السلاح، وشكل الإدارة الأمنية والسياسية، زادت من هذه الأسئلة مع غياب كامل للمشروع الإيراني.

وهنا تظهر المفارقة التي تستحق التأمل؛ فالدول - في نهاية المطاف - تحكمها حسابات الأمن القومي والمصالح الاستراتيجية، مهما ارتفعت شعاراتها الأيديولوجية. وهذه قاعدة لا تخص إيران وحدها، بل تكاد تكون سنة جارية في العلاقات الدولية. ولذلك فإن قراءة السياسات ينبغي أن تبنى على الأفعال والنتائج، لا على الخطابات وحدها. إن نازلة غزة - في تقديري - دفعت كثيرين إلى إعادة النظر في هذا السؤال، وإلى مراجعة مسلّمات كانت تبدو عند بعضهم غير قابلة للنقاش. كما أعادت التأكيد على أن القضية الفلسطينية لا ينبغي أن تربط بأي مشروع إقليمي، ولا أن يختزل مستقبلها في رهان على قوة خارجية؛ أيًا كانت.

والدرس الذي ينبغي أن تستوعبه القوى الفلسطينية هو أن استقلال القرار الوطني، والاعتماد بعد الله على



**تفتح شهادتا موسى أبو
مرزوق وخالد مشعل باباً
جاداً لمراجعة حساب المآلات
في قرار السابع من أكتوبر.
فأبو مرزوق قال: إن معرفته
المسبقة بما آلت إليه غزة
كانت ستجعل تأييده للهجوم
مستحيلاً. وفي المقابل وصف
مشعل خسائر حماس بأنها
تكتيكية وخسائر إسرائيل
بأنها استراتيجية.**

**والسؤال هنا: ليس عن
أصل المقاومة، بل عن فقه
القرار: إذا لم تكن العواقب
الكبرى متوقعة، فبأي تقدير
استراتيجي اتخذ القرار،
وكيف حسبت كلفته على
الشعب والقضية وأنها خسائر
تكتيكية وهي شردت العباد
وخربت البلاد.**

تماسك المجتمع الفلسطيني، وعمقه
العربي والإسلامي السني، وبناء عناصر
القوة الذاتية، يظل الخيار الأكثر رسوخاً.
فالقضية التي حملتها الأمة قرونًا لا يجوز
أن تتحول إلى ورقة في موازين القوى
الإقليمية أو الدولية.

لقد أثبتت نازلة غزة أن الحروب تفرز
الحقائق، وأن الشعارات مهما بلغت قوتها
لا تغني عن المواقف العملية. وسيبقى
السؤال مطروحاً أمام كل مشروع يرفع راية
فلسطين: ماذا قدّم يوم كانت غزة تواجه
أقصى محنة في تاريخها الحديث على يد
العدو اليهودي المحتل المدعوم أمريكياً
وأوروبياً؟

فالتاريخ لا يحفظ كثرة الشعارات، وإنما
يحفظ المواقف التي ثبتت عند ساعة
الامتحان، والوقائع التي صمدت أمام اختبار
الزمن.

إن هوية فلسطين السنية ليست
موقفًا سياسيًا عابراً، وإنما هي الضمانة
التاريخية لاستقلال قرارها، وصيانة
قضيتها من أن تتحول إلى ورقة في
صراعات المحاور. فمن حفظ الهوية؛
حفظ القضية؛ ومن فرط في الهوية؛
فتح الباب لكل مشروع وافد، مهما
رفع من شعارات القدس. ■



زَوَالُ الْكَيَّانِ الْمُحْتَلِّ

بين يقين السنن وخرافة التوقيت

الدكتور سليم بن عيد الهلالي



ليس السؤال: هل الاحتلال باق؟ فليس في سنن الله دولة بشرية تحمل صكًا بالبقاء الأبدي. وليس السؤال كذلك: هل يجوز للمسلمين أن يرجوا زوال الاحتلال عن فلسطين، ويعملوا لذلك؟ فهذا حق مشروع، وغاية عادلة، ومقتضى طبيعي لرفض الظلم والاحتلال.

إنما السؤال الذي يحتاج إلى تحرير هو: هل أخبرنا الوحي متى يزول الكيان القائم اليوم؟

وهل عام (٢٠٢٢) أو (٢٠٢٧) موعد قرآني؟

وهل يجب أن يبقى هذا الكيان حتى نزول عيسى عليه السلام ووقوع قتال اليهود في آخر الزمان؟

هنا تختلط ثلاثة أبواب مختلفة: سنن الله في الدول، والغيب الذي لا يعلم إلا بوحى، وأحاديث أشراط الساعة.

ومنهج أهل السنة أن يجمع بينها من غير زيادة على النص، ولا تحميل له ما لم يحتمل.

الاحتلال ليس باقياً... ولكن أين تاريخ الزوال؟

من الخطأ أن تتحول الثقة بالله وسننه إلى جراءة على الغيب.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقَفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فإذا أخبر الله أو رسوله ﷺ عن حدث مستقبل، آمنا به كما جاء.

وإذا حدد الوحي زماناً: أثبتناه.

وإذا سكت عن التاريخ: وجب أن نسكت عما سكت عنه.

ومن هنا ينبغي توجيه سؤال واحد إلى كل من يحدد سنة لزوال الكيان:

أين النص الصحيح الصريح؟

لا: أين المعادلة العددية؟ ولا: كم عدد الحروف؟ ولا: ما القيمة الحسابية للكلمة؟ بل: أين قال الله أو رسوله ﷺ إن الدولة التي أعلنت سنة ١٩٤٨ ستزول سنة ٢٠٢٢ أو ٢٠٢٧؟

فإن لم يوجد النص: بقي الكلام اجتهاداً أو توقفاً بشرياً يصيب ويخطئ، ولا يجوز تحويله إلى وعد إلهي.

٢٠٢٢... درس ينبغي ألا ننساه:

من أشهر نماذج التوقيت المعاصر كتاب الباحث الفلسطيني بسام جرار: زوال إسرائيل ٢٠٢٢م: نبوءة أم صدف رقمية؟!



الذي بنى جانبًا من استدلاله على أنماط وحسابات عددية.

ثم مضت سنة ٢٠٢٢ ولم يقع الزوال المتوقع!!

والتعامل العلمي مع ذلك ليس بالسخرية من صاحبه، ولا بالطعن في نيته، بل بالسؤال عن المنهج: هل يجوز أصلاً أن تتحول العلاقات العددية المحتملة إلى تاريخ لمصير دولة، ثم تنتشر بين العامة حتى تكاد تستقبل بوصفها وعدًا قرآنياً؟

وقد بلغ تأثير هذه الفكرة حدًا دفع دراسة ميدانية إلى بحث تفاعل الأسرى الفلسطينيين معها، ومدى تعليق الآمال عليها والإحباط المحتمل إذا لم تتحقق؛ وهو ما يكشف أن القضية تجاوزت ترميماً فكرياً إلى أثر نفسي واجتماعي حقيقي.

والدرس واضح:

لا ينبغي أن نستبدل ٢٠٢٢ بـ ٢٠٢٧ ثم نعيد الخطأ نفسه.

إذا لم يحدد الوحي الموعد، فلا يصنع تكرار التاريخ المتوقع دليلاً عليه.

هل زوال الكيان حتمية؟

هنا يلزم تحرير المصطلح... إن كان المقصود بالاحتمية أن الكيان القائم اليوم ليس باق؛ فهذا منسجم مع سنن التاريخ؛ فالدول تقوم وتقوى وتضعف وتتغير، وقد شاهد البشر انهيار إمبراطوريات كانت في

أزمانها أشد قوة ونفوذًا.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

أما إن كان المراد أن هناك نصًا قطعياً يحدد مصير الدويلة اللقيطة باسمها وحدودها وتاريخ زوالها؛ فلا يصح أن ننسب إلى الوحي ما لم يقله.

ولهذا؛ فالأدق أن نقول:

الاحتلال ليس قدرًا أبديًا، وزواله غاية مشروعة يعمل لها أصحاب الحق، والدول تجري عليها سنن القوة والضعف والزوال؛ أما موعد نهاية الكيان القائم وكيفيةها؛ فلا نملك نصًا صحيحًا يحددها.

وهذا اليقين بالسنن أقوى من اليقين برقم؛ لأنه لا ينهار بانتهاء سنة.

وماذا عن حديث قتال اليهود؟

ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخبر أن الساعة لا تقوم حتى يقع قتال بين المسلمين واليهود، وهو حديث صحيح.

هذا خبر غيبي صحيح؛ فنؤمن به كما جاء، لكن أين في الحديث أن الدويلة اللقيطة التي أعلنت سنة (١٩٤٨) ستظل قائمة إلى ذلك اليوم؟



ليس فيه ذلك.

الحديث يخبر عن وجود يهود ووقوع قتال في المستقبل، ولا يحدد النظام السياسي الذي سيكون قائمًا، ولا حدوده، ولا اسمه، ولا يقول إن الكيان المعاصر سيبقى من سنة ١٩٤٨ بلا انقطاع حتى تلك الأحداث.

وهنا قاعدة منهجية شديدة الأهمية:

وجود اليهود في آخر الزمان شيء، وبقاء دويلة لقيطة معاصرة بعينها شيء آخر.

إثبات الأول لا يستلزم الثاني!

وهل القتال المذكور مرتبط بنزول عيسى؟

ثبت نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان، وثبتت قصة الدجال، وفي حديث النواس بن سمعان الطويل صحيح أن عيسى عليه السلام ينزل، ثم يتبع الدجال حتى يدركه عند باب لد فيقتله.

هذه عقيدة ثابتة لا إشكال فيها.

لكن الخطأ أن نبي عليها نتيجة لم يقلها الحديث:

لا يمكن أن يزول الكيان الحالي قبل نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

هذا الاستنتاج يحتاج إلى دليل مستقل، ولا يكفي لإثباته وجود اليهود في أحداث آخر الزمان.

فمن الممكن عقلاً وتاريخاً أن تزول دولة، وتتغير حدود وأنظمة، وتنشأ كيانات أخرى، وتتعاقب أجيال، ثم تقع بعد ذلك أحداث آخر الزمان كما أخبر بها النبي ﷺ. إذاً لا تعارض بين الأمرين أصلاً.

زوال الكيان المحتمل شيء... وأحداث آخر الزمان شيء آخر:

وهذه النقطة هي مفتاح المسألة كلها. يجب التفريق بين زوال كيان لقيط محتل وبين المشهد الأخروي الكبير الذي أخبرت به السنة النبوية الصحيحة في زمن الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

الدويلة كيان سياسي تاريخي؛ يمكن أن ينهار بسبب هزيمة عسكرية، أو أزمة داخلية، أو تغير ديموغرافي، أو تفكك اجتماعي، أو انهيار اقتصادي، أو تغير في البيئة الدولية، أو اجتماع جملة من هذه الأسباب.

أما أحداث الدجال ونزول عيسى؛ فهي من الغيب الذي مصدر معرفتنا به الوحي وحده.

فلا يجوز دمج المسارين دون دليل. ومن ثم؛ فإن القول: "لن يزول الكيان إلا بنزول عيسى". لا نعلم عليه دليلاً صحيحاً صريحاً.

كما أن القول: "الكيان الحالي هو حتماً



الكيان نفسه الذي سيكون قائماً عند أحداث آخر الزمان“. زيادة على النص لا يقتضيها الحديث.

خطر التوقيت ليس علمياً فقط:

قد يقول قائل: وما الضرر إذا حددنا تاريخاً تقوية للأمل؟

الضرر أكبر مما يبدو:

حين تقول لجيل كامل إن النهاية ستكون بعد خمس سنوات، فقد تنقله من عقلية البناء إلى نفسية الانتظار.

وإذا انقضت السنوات ولم يقع شيء؛ فقد ينقلب الأمل إلى إحباط، والأسوأ أن يختلط عند بعض العامة خطأ الإنسان بصدق القرآن.

وهنا تقع الجناية على الوحي:

الله لم يخلف وعده، لكن الإنسان هو الذي نسب إلى الوحي تاريخاً لم يذكره الوحي.

والعقيدة لا تحتاج إلى توقعات مثيرة حتى تكون قوية.

من حساب السنوات إلى حساب القوة:

القرآن أعطانا ما هو أهم من تاريخ الزوال: أعطانا سنن التغيير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

هذه معادلة أكثر صرامة من حساب الحروف:

إصلاح، وإيمان، وإعداد، وعلم، وقوة، وصبر، وقيادة، وأخذ بالأسباب.

فالكينانات لا تنهار لأن الرقم ٧٦ اكتمل، ولا لأن تقويمين التقيا، وإنما تتغير موازين التاريخ عندما تتغير عوامل القوة والبقاء.

وهنا ينبغي أن يتحول السؤال الفلسطيني والعربي والإسلامي من:

متى يزول الكيان؟

إلى:

ما أسباب بقاءه؟

وكيف تتغير موازين القوة التي تحميه؟

ذلك سؤال استراتيجي حقيقي: لا تنتظروا عيسى؛ ليقوم بواجب أجيالكم.

من أخطر آثار الخلط بين تحرير فلسطين وأشراف الساعة أن يتحول الإيمان بنزول عيسى إلى عقيدة انتظار.

كأن الأمة تقول: النهاية مقررة في آخر الزمان؛ فلماذا نبني القوة الآن؟

وهذا قلب لمعنى النصوص.

نزول عيسى عليه السلام خبر غيبي نؤمن به، وليس خطة سياسية نعطل بها واجبات الحاضر.



لكنها تخبرنا إن كنا نسير في طريق تغيير الواقع أم نكتفي بانتظار تغييره.

يقين السنن لا خرافة التوقيت:

لسنا بحاجة إلى (٢٠٢٢) ولا (٢٠٢٧) لكي نؤمن بأن الاحتلال سيزول بإذن الله. ولسنا بحاجة إلى حساب الجُمَّل حتى نزرع الأمل في جيل التحرير. كما أننا لسنا بحاجة إلى القول: إن الكيان سيبقى حتى نزول عيسى؛ فالنصوص الصحيحة لم تقل ذلك. لدينا ما هو أعظم:

وحي نؤمن به، وسنن نفهمها، وأسباب أمرنا بالأخذ بها. فنثبت أحاديث آخر الزمان كما جاءت، ولا نحولها إلى خرائط سياسية لم ترسمها، ونرفض تحديد الغيب بما لم يحدده الله. ونوقن بأن القوة لا تدوم لأحد، وأن الظلم لا يكتسب شرعية بطول عمره، وأن الاحتلال لا يصبح أبدياً لأنه طال. لكننا؛ في الوقت نفسه: لا نبيع الناس موعداً لا نملكه.

فبدل السؤال:

متى يزول الكيان؟

ينبغي أن يصبح سؤال الأمة:

ماذا أعدنا لزوال الاحتلال؟

وبدل انتظار سنة سحرية؛ علينا بناء جيل

والأمة اليوم مأمورة بالإصلاح والإعداد والعلم والعمل، وحفظ الحقوق، ونصرة المظلوم، وبناء القوة بحسب استطاعتها. إن انتظار المعجزة مع تعطيل السنن ليس توكلاً.

كما أن الأخذ بالأسباب دون التوكل على الله ليس منهج المؤمنين. والطريق الصحيح بينهما: إيمان بالوعد، وعمل بالسنن.

لا تسألوا عن ٢٠٢٧... اسألوا ماذا أعدنا لها:

لنفترض أننا وصلنا إلى سنة (٢٠٢٧). السؤال الحقيقي ليس: هل انتهت النبوة الجديدة؟

بل:

كم عالمًا أعدنا؟

كم جامعة قوينا؟

كم تقنية امتلكنها؟

كم اقتصادًا حررنا من التبعية؟

كم مؤسسة استراتيجية أنشأنا؟

كم طفلًا فلسطينيًا حفظنا له هويته

وذاكرته؟

كم رواية تاريخية وثقنا؟

كم عنصرًا من عناصر القوة السياسية

والاقتصادية والعلمية والإعلامية امتلكنها؟

هذه الأسئلة لا تخبرنا متى يزول الاحتلال؛



أحمد ياسين و٢٠٢٧: أين الخلل؟

توقع زوال إسرائيل سنة ٢٠٢٧، وربطه بدورات
زمنية قدرها أربعون سنة، مستأنسا بقصة تيه بني
إسرائيل.

وموضع الخطأ هنا: ليس في توقع زوال الاحتلال؛
فهذا حتمية تاريخية وسياسية، ولا دولة بشرية
باقية. وإنما الخطأ في ربط سنة محددة باستنباط
قرآني لا يدل عليها النص.

فالقرآن ذكر الأربعين سنة في واقعة مخصوصة:
﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي
الْأَرْضِ﴾، لكنه لم يجعل الأربعين قانونا مطردا
لتبديل الأجيال أو سقوط الدول، ولم يحدد سنة لزوال
الكيان الصهيوني اللقيط.

ولهذا؛ فالأدق أن يقال: ما ذكره اجتهاد بشري،
لا نبوءة شرعية ولا وعد قرآني؛ فلا يجوز استدعاء
معارك غير متكافئة وإذعار العدو المجرم على النساء
والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.
والخطر في مثل هذه التوقيعات المراهقة أنها قد
تتحول السنن الشرعية إلى «ساعة عد تنازلي»، فإذا
انقضى التاريخ ولم يقع المتوقع، وقع الاضطراب في
نفوس بعض الناس.

القرآن لا يعلم الأمة انتظار المواعيد، وإنما يأمرها
بالإيمان والإعداد والصبر والأخذ بأسباب القوة.
فالسؤال الصحيح ليس: هل يزول الكيان اللقيط
سنة ٢٠٢٧؟ وإنما: ماذا أعددنا نحن لزوال الاحتلال؟

يستطيع تغيير ميزان التاريخ.
وبدل البحث في القرآن عن
رقم لموعد النهاية؛ فلنقرأ ما
قاله القرآن صراحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ
لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].
هذه هي المعادلة التي
لا تخطئ موعدها: تغيير
ما بالنفوس، وبناء القوة،
والأخذ بالأسباب، والثبات
على الحق؛ أما الغيب فنقف
فيه حيث أوقفنا الوحي.

وهنا يلتقي اليقين بالمنهج:
لا نؤله قوة الكيان؛ فنظنه
خالداً، ولا نؤله أرقامنا؛
فنحدد له أجلاً لم يحدده
الله.

بين اليأس والخرافة طريق
ثالث هو طريق الوحي:

يقين بلا ادعاء للغيب،
وأمل بلا أوهام، وإعداد بلا
انتظار، وعمل حتى يأذن الله
بتغيير الأحوال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ
بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]. ■



حين تصبح معركة الوعي أخطر من معركة الحدود

الدكتور طارق أمين المراكشي



طبيعية، بل عن شيء أخطر من ذلك كله:
انهيار معايير الوعي.
فالخطر الحقيقي لا يبدأ حين تحتل
الأرض، وإنما حين يحتل العقل، ولا
يبدأ حين تتغير الخرائط، وإنما حين تتغير
البوصلة التي تهدي الناس إلى الحق.
ولعل هذه هي السمة الأبرز في عصرنا.
فنحن لا نعيش عصر نقص المعلومات،
وإنما عصر فيضانها. ولم يعد التحدي أن
تصل إلى الخبر، بل أن تعرف أي الأخبار

قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، رسم
النبي ﷺ لوحةً مدهشة لأزمة
الاضطراب؛ فقال: «سيأتي على الناس
سنوات خداعات؛ يصدق فيها الكاذب،
ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها
الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها
الرويبضة»^(١).

ولم يكن الحديث عن أزمة اقتصادية،
ولا عن هزيمة عسكرية، ولا عن كارثة

(١) أخرجه ابن ماجه وصححه الألباني.



يستحق التصديق، وأي الأصوات تستحق الإصغاء، وأي الروايات تخدم الحقيقة، وأيها صنعت لتزييفها.

لقد أصبحت معركة الرواية جزءًا من معركة الميدان.

وأصبحت الكلمة، والصورة، والمقطع القصير، والوسم المتداول، قادرة على صناعة رأي عام، أو قلب حقائق، أو تشويه قضية، في دقائق معدودة.

ومن هنا تتجلى عظمة التوجيه النبوي. فالحديث لا يصف أفرادًا فحسب، بل يصف زمنًا تنقلب فيه الموازين؛ فيصبح الصدق موضع شك، والكذب طريقًا إلى الشهرة، والأمانة تتهم، والخيانة تسوق على أنها ذكاء سياسي، ويتصدر المشهد من لا يملك علمًا ولا خبرة؛ لكنه يملك القدرة على إثارة الضجيج، وجذب الانتباه.

وهذا هو «الروبيضة»!

ليس مجرد رجل تافه، وإنما رمز لكل من يتصدر الشأن العام بغير علم، ويصنع الرأي العام بغير مسؤولية، ويتحدث في قضايا الأمم بعقلية الإثارة لا بعقلية المعرفة.

وإذا كان لكل عصر روبيضاته؛ فإن

عصر الإعلام الرقمي قد منح الروبيضة منابر لا حدود لها، وجعل الوصول إلى ملايين الناس أيسر من أي وقت مضى.

وفي مثل هذا الواقع تصبح فلسطين واحدة من أكثر القضايا عرضةً للتضليل؛ فهي ليست ميدانًا للصراع العسكري فحسب، وإنما ميدان للصراع على الرواية أيضًا.

وتتدافع حولها الأخبار، والتحليلات، والشائعات، والمقاطع المجتزأة، والصور الخارجة عن سياقها، حتى يغدو الوصول إلى الحقيقة عملًا يحتاج إلى وعي وصبر، لا إلى سرعة في التلقي أو التفاعل.

ولهذا؛ فإن أخطر ما يمكن أن تخسره فلسطين ليس تعاطف الناس معها، وإنما ثقتهم في الحقيقة المتعلقة بها.

فإذا اختلط الصادق بالكاذب، وضاعت الحدود بين الخبر والدعاية، وبين المعلومة والتحليل، وبين الحقيقة والانطباع، أصبح الوعي نفسه ساحةً للمعركة.

ومن هنا لا يكفي أن نحب فلسطين؛ وإنما يجب أن نفهمها.

ولا يكفي أن نتابع أخبارها؛ وإنما يجب أن نحسن قراءتها.

ولا يكفي أن نرفض الظلم؛ وإنما يجب



أن نمتلك الأدوات التي تمنع تضليلنا واستغلال عواطفنا.

إن الجيل الذي تحتاجه فلسطين ليس جيلًا يحفظ الشعارات، وإنما جيل يتثبت قبل أن يحكم، ويتحقق قبل أن ينشر، ويفرق بين الخبر والرأي، وبين الحقيقة والدعاية، ويزن المواقف بميزان العلم والعدل، لا بميزان الضجيج والانفعال. وهذا هو الفرق بين مجتمع يقود الأحداث، وآخر تقوده العناوين المتداولة.

لقد علمنا القرآن قبل الحديث النبوي قاعدة الوعي الكبرى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ جَاءَكَ فَاسْأَلْ بِنَبَأٍ فَتَنَبَّأْ﴾ [الحجرات: ٦]. فالتثبت ليس خلقًا فرديًا فحسب، وإنما هو أساس الأمن الفكري، وحارس العدالة، وضمانة ألا تتحول الأكاذيب إلى حقائق، ولا الشائعات إلى قرارات.

ولذلك؛ فإن معركة الوعي ليست معركة النخب وحدها، وإنما مسؤولية الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والإعلام، والمسجد، وكل مؤسسة تصنع الإنسان. فالأمم لا تهزم حين تخسر معركة، وإنما تهزم حين تفقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل.

ولهذا يبقى حديث "السنوات الخداعات" من أعظم النصوص التي تربي المسلم على اليقظة لا على الشك، وعلى التثبت لا على السذاجة، وعلى طلب الحقيقة لا على الانقياد للضجيج.

فقد تتغير موازين القوى، وتتبدل خرائط السياسة، وتتزاحم الروايات؛ لكن الحقيقة تبقى بحاجة إلى من يبحث عنها، والعدل بحاجة إلى من يدافع عنه، وفلسطين بحاجة إلى جيل لا يخدعه الرويضة، ولا تضلله الدعاية، ولا تسرق وعيه سنوات وصفها النبي ﷺ قبل قرون بأنها «سنوات خداعات». فحين يحفظ الوعي؛ تحفظ القضية.

وحين تحفظ القضية في العقول؛ يبقى الأمل في تحرير الأرض حيًا، مهما طال الطريق.



العرب وحمل رسالة الإسلام

✦ الأستاذ عمر سالم الموريتاني ✦

(إن هذه أمتكم
أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون)
(الأنبياء: ٩٢)

ومع أن هاتين العبارتين تستعملان أحياناً في غير موضعهما؛ فإن التأمل فيهما يكشف عن رؤية حضارية عميقة تتجاوز العصبية القومية، وتتصل مباشرة بمستقبل الأمة ورسالتها.

فالإسلام منذ اللحظة الأولى أعلن حربه على العصبية الجاهلية، وجعل معيار التفاضل بين الناس التقوى والعمل الصالح لا اللون ولا الجنس ولا النسب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي المجتمع النبوي وقف العربي إلى جانب الحبشي والفارسي والرومي تحت راية واحدة، لا يجمعهم دم ولا أرض، وإنما يجمعهم الإيمان. فكان سلمان الفارسي، وبلال الحبشي،

في زمن تتكاثر فيه الدعوات الشعوبية التي تسعى إلى فصل الإسلام عن جذوره التاريخية واللغوية من جهة أخرى، تبرز كلمات الصحابة رضي الله عنهم بوصفها ميزاناً دقيقاً يضع الأمور في نصابها الصحيح، ويكشف الفرق بين الاعتزاز المشروع بالهوية الإسلامية وبين العصبية المذمومة التي جاء الإسلام لهدمها.

ومن تلك الكلمات المأثورة ما نقل عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "أوصيكم بالعرب خيراً؛ فإنهم مادة الإسلام"، وما ثبت عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: "العرب حملة الإسلام؛ فإن عجزوا عن حمله؛ فغيرهم أعجز".



وصهيب الرومي، وغيرهم من كبار السابقين إلى الإسلام وأعلام الأمة، حتى صاروا نماذج خالدة في تاريخها.

ومن هنا؛ فإن الحديث عن فضل العرب دورهم في الإسلام لا يجوز أن يفهم على أنه دعوة إلى قومية عربية أو تمييز عرقي؛ فذلك يتعارض مع أصول الإسلام ومقاصده.

لكن في المقابل، فإن إنكار الدور العربي في الإسلام لا يقل خطرًا عن الغلو في تعظيمه.

فالعرب كانوا الوعاء الأول الذي نزل فيه القرآن، وبلغتهم نزل الوحي، ومن أرضهم انطلقت الرسالة، وفيهم بعث خاتم الأنبياء ﷺ، وعلى أكتافهم حملت الدعوة في مراحلها الأولى إلى العالم.

ولهذا لم يكن عمر رضي الله عنه يتحدث عن تفوق عرقي حين أوصى بالعرب، وإنما كان يتحدث عن حقيقة تاريخية وحضارية؛

فالعرب كانوا المادة الأولى التي تشكل منها المجتمع الإسلامي الأول، وكانوا الحامل الأول للغة القرآن والسنة، وكان الحفاظ على قوتهم ووحدتهم وعلمهم جزءًا من الحفاظ على قوة الأمة ومكانتها ورسالتها.

ولهذا قرر العلماء أن العرب إنما فضلوا بما خصهم الله به من حمل الرسالة ولسان الوحي، لا لمجرد النسب والدم؛ ففضلهم فضل تكليف ومسؤولية قبل أن يكون فضل تشريف ومكانة.

أما كلمة معاوية رضي الله عنه فهي أعمق مما يظنه كثير من الناس.

فهو لا يقول: إن غير العرب عاجزون بطبيعتهم، فقد أثبت التاريخ أن شعوبًا كثيرة خدمت الإسلام أعظم خدمة، وقدمت للعلم والحضارة الإسلامية إسهامات لا تنكر. وإنما يشير إلى سنة حضارية مهمة.

فإذا كانت الأمة التي نزل القرآن بلغتها، وعاشت التنزيل، وحملت الدعوة منذ بدايتها، وعرفت معاني الوحي وأسبابه وسياقاته، تعجز عن أداء رسالتها؛ فإن ذلك يكون علامة على خلل كبير أصاب الأمة كلها.

إنها ليست مفاضلة عرقية، وإنما قراءة واقعية لمسؤولية تاريخية.

ولهذا؛ فإن تاريخ الإسلام نفسه يقدم أبلغ شاهد على هذا المعنى.

فعندما نهض العرب بالإسلام نهضت معهم أمة كثيرة، وحين ازدهرت الحضارة الإسلامية وجدنا الفارسي والتركي والكردي والأمازيغي والهندي والإفريقي يشاركون في بنائها.

لكن الجامع بينهم جميعًا لم يكن العرق، وإنما الإسلام.

فاللغة التي كتبوا بها كانت لغة القرآن، والمرجعية التي احتكموا إليها كانت الكتاب والسنة، والرسالة التي خدموها كانت رسالة الإسلام.

ومن هنا يتبين أن الصراع الذي يحاول



بعضهم تصويره بين العرب وغير العرب صراع مصطنع لا يعرفه تاريخ الإسلام في عصوره المشرقة.

فالأمة لم تنتصر يوم اجتمع العرب وحدهم، ولم تنهض يوم انفردت بها قومية معينة، وإنما نهضت يوم اجتمعت شعوبها كلها حول الوحي، وتوجهت طاقاتها جميعاً نحو خدمة الدين وبناء الحضارة.

وهنا تتصل هذه القضية بفلسطين اتصالاً مباشراً.

فلسطين لم تكن يوماً قضية عرق أو قومية ضيقة، كما أنها لم تكن قضية شعب منفصل عن أمته، وإنما كانت قضية أمة حملت رسالة واحدة، ومصيراً واحداً.

ومن يتأمل تاريخ القدس يجد أن تحريرها لم يكن ثمرة جهد قوم واحد، وإنما شاركت فيه شعوب الأمة جميعها، وكان الرابط الذي جمعها هو الإسلام والسنة.

ولم يكن الذين دافعوا عن القدس عبر القرون يسألون عن الأعراق والأنساب، وإنما عن الإيمان والولاء للحق والقدرة على التضحية والبذل.

ولهذا: فإن جيل التحرير الذي تحتاجه فلسطين اليوم ليس جيلاً يعيش على العصبية والشعارات القومية الضيقة، وإنما جيلاً يفهم موقع العرب في الإسلام دون غلو، ويفهم دور سائر شعوب الأمة دون جحود.

جيلاً يعرف أن العرب خدموا الإسلام خدمة عظيمة، وأن غير العرب خدموه كذلك خدمة عظيمة، وأن الفضل الحقيقي ليس للعرق، وإنما للقيام بالرسالة.

إن وصية عمر وكلمة معاوية لا تدعوان إلى التعصب للعرب، بل تذكran بمسؤولية تاريخية كبرى.

فالعرب بحكم لغة القرآن، ومهد الرسالة، وميراث النبوة، يتحملون واجباً خاصاً في خدمة الإسلام والدفاع عنه ونشره.

لكن هذه المسؤولية لا تلغي دور غيرهم، كما أن مشاركة غيرهم لا تلغي مكانة العرب التاريخية في حمل الوحي وتبليغه.

فالأمة في حقيقتها جسد واحد، تتكامل أعضاؤه وتتساند قواه، فإذا ضعف بعضه ضعف كله، وإذا نهض بعضه نهض كله.

وهذا هو الدرس الذي تحتاجه الأمة اليوم.

فليست القضية: أي الشعوب كان لها

النصيب الأكبر في بناء الحضارة الإسلامية؟

وليست القضية: من هو أحق بالفخر بالماضي؟

وإنما القضية الحقيقية: من يحمل الرسالة

في الحاضر؟ ومن ينهض بأعباء المستقبل؟

ومن يعد الجيل القادر على استعادة مكانة

الأمة والدفاع عن مقدساتها وتحرير أرضها؟

إن وصية عمر وكلمة معاوية لا تدعوان

إلى عصبية جاهلية، وإنما تذكran بمسؤولية



حضارية كبرى.

فالعرب بحكم لغة الوحي ومهد الرسالة يتحملون واجباً عظيماً، كما تتحمل سائر شعوب الأمة واجبها في نصره الدين وخدمة الرسالة.

وحين تفهم الأمة هذه الحقيقة تتجاوز صراعات الأعراق والأنساب، وتتجه إلى ميدان العمل والبناء والعلم والجهاد الحضاري.

وعندئذ فقط تستعيد الأمة الإسلامية مكانتها، ويولد جيل التحرير الذي لا يسأل: من أي عرق أنت؟ وإنما يسأل: ماذا قدمت للإسلام؟ وماذا قدمت لفلسطين؟ وماذا قدمت لأمتك؟ فمن حمل الإسلام بحق؛ أعزه الله، ومن نصر دينه؛ نصره الله، وتلك سنة لا تتغير بتغير الأعراق والألوان والأوطان. ■

خرافة الاستبدال

يروج بعض دعاة الشعوبية الجديدة - أي: الخطاب الذي يعيد إنتاج المفاضلة القومية القديمة في صورة سياسية معاصرة - لمقولة مفادها: إن العرب خذلوا فلسطين، وأهل السنة تخلوا عن غزة، بينما قاتلت إيران إسرائيل وأمريكا؛ ولذلك «استبدل الله العرب بالفرس وأهل السنة بالشيعة».

وهذه دعوى تختلط فيها العقيدة بالدعاية، والسنن الإلهية بحسابات السياسة. قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. فالاستبدال في القرآن سنة مشروطة بالتولي والطاعة، لا تفويضاً أبدياً لجنس أو قومية أو طائفة: فمن استقام نصر، ومن تولى عوقب، عربياً كان أو فارسياً. ولذلك؛ فإن نسبة «الاستبدال الإلهي» إلى شعب بعينه بلا نص، تحويل للاجتهاد السياسي إلى حكم على إرادة الله.

ثم إن مواجهة إيران لإسرائيل أو أمريكا لا تجعل سياساتها حقاً، ولا تثبت صحة مشروعها العقدي أو الإقليمي؛ فالدول لا تتحرك بالمبادئ المجردة وحدها، وإنما بالمصلحة والأمن والنفوذ وحسابات القوة.

كما أن تقصير بعض الحكومات العربية لا يجوز أن يتحول إلى حكم على أهل السنة جميعاً، ولا أن يمحو تاريخ فلسطين نفسها، وشعبها وعلماءها ومقاومتها، وهم في جمهورهم من أهل السنة والجماعة.

المعيار إذن ليس: عربي أم فارسي؟

بل: من أطاع الله ورسوله واتبع منهج السلف، وعدل، ونصر المظلوم، ولم يجعل فلسطين جسراً لمشروعه الخاص.

فالاستبدال سنة إيمانية، لا صفة قومية؛ ومن جعل المسيررات دليلاً على رضا الله فقد استبدل ميزان الوحي بميزان الصواريخ!!





يريدون تحويل العلماء إلى قبائل

الأستاذ عبد الله اليماني

العلم الإسلامي، أو يحاولون توظيف ذلك لخدمة مشاريع سياسية وفكرية معاصرة. والحقيقة أن هذه المقولة تحتاج إلى مراجعة علمية هادئة؛ لأن المشكلة ليست في وجود علماء كبار من أصول فارسية؛ فذلك أمر معلوم لا ينكره أحد، وإنما في توظيف هذه الحقيقة الجزئية لصناعة استنتاجات باطلة تخالف التاريخ والواقع ومنهج الإسلام نفسه.

وأول ما ينبغي التنبيه إليه أن هذه الدعوى تفتقر إلى الدقة العلمية. فمن الذي أحصى علماء الإسلام جميعًا حتى جزم بأن أكثرهم فرس؟

في كل مرحلة من مراحل الضعف التي تمر بها الأمة الإسلامية تظهر محاولات لإعادة تعريف هويتها، ليس من خلال القرآن والسنة والتاريخ الصحيح، وإنما من خلال العصبية القومية والانتماءات العرقية الضيقة.

ومن أشهر ما يتردد في هذا السياق قول بعضهم: «إن أكثر علماء المسلمين كانوا من الفرس»، ثم لا يكتفون بذكر هذه المعلومة على فرض صحتها، بل يبنون عليها نتائج خطيرة، فيصورون الحضارة الإسلامية وكأنها ثمرة قومية معينة، أو يوحون بأن العرب لم يكن لهم دور حقيقي في بناء



وهل المقصود علماء الحديث أم الفقه
أم التفسير أم العقيدة أم اللغة أم القضاء أم
السياسة الشرعية؟

وهل المقصود علماء القرون الثلاثة
الأولى أم جميع علماء الأمة عبر أربعة عشر
قرناً؟

إنها دعوى واسعة لا يملك أصحابها
إحصاءً علمياً دقيقاً يثبتها، ولذلك تبقى في
كثير من الأحيان مجرد شعار يتردد أكثر مما
هو حقيقة موثقة.

ثم إن كثيراً ممن يستشهد بهم لإثبات
هذه الدعوى لا يصح أصلاً إدخالهم في
التصنيفات القومية الحديثة.

فالإمام البخاري نشأ في بخارى، والإمام
مسلم في نيسابور، والترمذي في ترمذ،
والنسائي في نسا، وهذه الأقاليم كانت
جزءاً من العالم الإسلامي الواسع الذي
ضم شعوباً وأعراقاً متعددة، ولم تكن تعبر
عن مفهوم "القومية الفارسية" بالمفهوم
السياسي المعاصر.

بل إن محاولة إسقاط المفاهيم القومية
الحديثة على علماء عاشوا قبل ألف سنة أو
أكثر هي في حد ذاتها خطأ منهجي كبير.

والأهم من ذلك أن استعراض تاريخ
العلوم الإسلامية يكشف بوضوح أن
الحضارة الإسلامية لم تكن صناعة شعب
واحد.

فالأصحاب الذين حملوا الوحي ونشروه في

الآفاق كانوا في غالبيتهم من العرب.
والتابعون الذين تلقوا عنهم العلم كانوا
من أجناس متعددة.

وفي التفسير يبرز ابن عباس ومجاهد
وقتادة والطبري وابن كثير والقرطبي.

وفي الحديث نجد مالك بن أنس وأحمد بن
حنبل والبخاري ومسلم وأبا داود والترمذي
والنسائي وابن ماجه.

وفي الفقه نجد الأئمة الأربعة ومدارسهم
الكبرى.

وفي العقيدة نجد الأوزاعي والحميدي وابن
خزيمة وابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

وفي اللغة والنحو نجد الخليل بن أحمد
وسيبويه والكسائي والفراء وابن مالك.

ولو تأملنا هذه الأسماء لوجدنا عرباً
وفرساً وأكراداً وأمازيغ وترکاً وغيرهم.

فمن الظلم للتاريخ أن تنسب هذه
الحضارة إلى قوم واحد، كما أنه من الظلم
للعقل أن تتحول إنجازات الأمة كلها إلى مادة
للتفاخر العرقي.

إن أعظم ما يميز الحضارة الإسلامية أنها
لم تكن حضارة دم أو عرق، وإنما حضارة
عقيدة ورسالة.

فالعالم في الإسلام لا يرتفع بنسبه، وإنما
بعلمه وتقواه وخدمته للدين.

ولهذا لم يكن المسلمون يسألون: ما
قومية البخاري؟ ولا ما عرق مالك؟ ولا ما
أصل النووي؟ بل كانوا يسألون: ما علمه؟



وما حجته؟ وما أثره في الأمة؟

ولهذا السبب بالذات استطاع الإسلام أن يصنع أعظم تجربة حضارية عرفها التاريخ الوسيط؛ إذ جمع تحت راية واحدة العربي والفارسي والتركي والكردي والأمازيغي والهندي والإفريقي، ثم وجه طاقاتهم جميعًا نحو بناء أمة واحدة.

ومن المفارقات أن الذين يفاخرون اليوم بقومية بعض العلماء ينسون أن هؤلاء العلماء أنفسهم لم يدعوا إلى قومياتهم، ولم يؤلفوا كتبهم لخدمة أعراقهم، ولم يجعلوا انتماءهم العرقي محور رسالتهم.

فالبخاري لم يكتب "الجامع الصحيح" لنصرة الفرس، ومالك لم يؤلف "الموطأ" لنصرة العرب، والنووي لم يخدم السنة لنصرة الشام، وابن تيمية لم يذب عن العقيدة لنصرة قومه، وإنما عمل الجميع لخدمة الإسلام.

وهنا تظهر المشكلة الحقيقية في هذه الدعوى.

فهي لا تطرح اليوم غالبًا بدافع البحث التاريخي المجرد، وإنما تستخدم لإحياء العصبية القديمة، وتمزيق الانتماء الجامع للأمة.

وكلما ضعفت الأمة، وابتعدت عن مشروعها الحضاري، عاد بعضهم للبحث عن الهويات الصغرى: هذا عربي، وهذا فارسي، وهذا تركي، وهذا كردي، وكأن خلاص الأمة

يكمن في العودة إلى الانقسامات التي جاء الإسلام أصلًا ليزيلها.

ولهذا؛ فإن أخطر ما في هذه المقولة ليس خطأها التاريخي فحسب، بل أثرها التربوي والحضاري.

فهي تنقل الشباب من التفكير في صناعة العلماء إلى التفكير في أنساب العلماء.

وتنقلهم من سؤال: كيف نبني نهضة جديدة؟ إلى سؤال: أي الأعراق كان أكثر إسهامًا في النهضة القديمة؟

والأهم لا تتقدم بهذه الطريقة.

إن الأمة التي تواجه اليوم مشاريع الاحتلال اليهودي والهيمنة الصهيونية والتفكيك الصليبي تحتاج إلى ما يجمعها لا إلى ما يفرقها، وإلى ما يبني وعيها لا إلى ما يبعثره.

ولهذا؛ فإن قضية فلسطين تقدم لنا درسًا بليغًا في هذا الباب.

فالذين حرروا القدس عبر التاريخ لم يجتمعوا على قومية واحدة، وإنما اجتمعوا على عقيدة واحدة؛ ومشروع واحد.

وجيوش التحرير التي واجهت الغزاة لم تكن تسأل عن الأعراق والأنساب، وإنما عن الإيمان والكفاءة والقدرة على البذل والتضحية.

ولم تصبح فلسطين قضية الأمة لأنها قضية العرب وحدهم أو العجم وحدهم، وإنما لأنها قضية أمة جمعتها رسالة واحدة



ومصير واحد.

إن السؤال الصحيح ليس: من أي قوم كان العلماء؟

بل: كيف استطاع الإسلام أن يصنع علماء من كل القوميات؟ وليس المهم: أن نعرف إلى أي عرق ينتمي الأئمة، بل أن نعرف كيف نبني جيلاً جديداً يحمل علمهم وصدقهم وإخلاصهم.

فالحضارة الإسلامية لم بينها العرب وحدهم، ولم بينها الفرس وحدهم، ولم بينها شعب واحد ولا جنس واحد.

لقد بنتها أمة كاملة حين اجتمعت على الوحي، وتفرقت عنها حين عادت إلى العصبيات.

وحين ندرك هذه الحقيقة ندرك أن أعظم إنجاز للإسلام لم يكن إنتاج علماء من قومية معينة، وإنما تحويل شعوب متعددة، وأعراق متباينة إلى أمة واحدة: حملت رسالة واحدة، وصنعت حضارة واحدة، وكتبت صفحة فريدة في تاريخ الإنسانية.

وهذا هو الدرس الذي تحتاجه الأمة اليوم، وهذا هو الطريق. ■

عروبة العلماء في الحضارة الإسلامية

يعد كتاب الدكتور ناجي معروف: "عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية" من أبرز الدراسات التي راجعت المقولة الشائعة بأن أكثر علماء الإسلام من العجم، وهي المقولة التي اشتهرت عن ابن خلدون في المقدمة.

انطلق المؤلف من ملاحظة منهجية دقيقة: النسبة إلى البلد لا تعني بالضرورة النسبة العرقية؛ فالنيسابوري أو البخاري أو المروزي أو الخراساني قد يكون عربي النسب، استوطن أجداده تلك البلاد بعد الفتوحات، ثم غلبت عليه النسبة المكانية.

ولهذا رجع ناجي معروف إلى كتب الأنساب والتراجم والطبقات والبلدان، وتتبع أصول أعداد كبيرة من العلماء المنسوبين إلى المشرق الإسلامي، وأثبت أن كثيراً ممن صُنّفوا عند بعض المتأخرين ضمن «العجم» كانوا في الحقيقة من أصول عربية.

ولم يكن مشروعه مجرد بحث في الأنساب؛ بل كان أيضاً نقداً للقراءة الشعبوية التي بالغت في تقليل إسهام العرب في بناء العلوم الإسلامية، أو صورت الحضارة وكأن العرب أقاموا الدولة ثم تركوا صناعة العلم لغيرهم. ومع ذلك، فالكتاب لا يقدم إحصاء شاملاً يثبت أن أكثر علماء المسلمين عرب.

والخلاصة العادلة: الحضارة الإسلامية ثمرة مشتركة للعرب والعجم، لكن اختزال إنجازها في «العجم» وإقصاء العرب قراءة غير علمية، كما أن النسبة إلى بلد أعجمي لا تكفي للحكم بعجمية صاحبه.



مفاتيح فهم البهتان في صراع اليهود

الدكتور عاصم يحيى القدومي



وهذه الحادثة ليست مجرد قصة من السيرة، بل هي مشهد نبوي يكشف آلية من أخطر آليات الصراع الفكري والإعلامي: كيف يستبدل البهتان بالبرهان، وتستبدل العصبية بالعدل، ويصبح الموقف من الحق هو المعيار الحقيقي في نظر أهل الأهواء، لا حقيقة الإنسان ولا فضله.

ولذلك فإن هذا الحديث لا يفسر حادثة تاريخية فحسب، بل يقدم مفتاحًا لفهم كثير من صور الصراع قديمًا وحديثًا، ويبين أن الأمم لا تهزم حين تفتقر إلى المعلومات، وإنما حين تفسد موازينها الأخلاقية،

في دقائق معدودة، وقع في المدينة النبوية مشهد يستحق أن يكتب بماء الذهب. رجل أجمع قومه على أنه "خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا"، ثم لم تمض لحظات حتى أصبح عندهم "شرنا وابن شرنا". لم يتغير علمه، ولم تتبدل أخلاقه، ولم تصدر منه خيانة ولا جريمة، وإنما تغير موقفه من الحق.

إنه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه، الحبر اليهودي الذي قاده علمه إلى الإسلام، بينما قاد الهوى غيره إلى إنكار الحق بعد معرفته.



فيصبح الهوى قائدًا، والحق تابعًا.

كان عبد الله بن سلام من كبار علماء اليهود في المدينة، معروفًا بينهم بالعلم والاستقامة، وقد قرأ في التوراة أوصاف النبي الخاتم، وظل ينتظر بعثته. فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، لم يدفعه التعصب إلى الإعراض، ولم تمنعه مكانته العلمية من البحث، بل ذهب متثبتًا، وسأل النبي ﷺ عن ثلاث مسائل من الغيب، وقال: "إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي."

فلما أجابه رسول الله ﷺ، زال عنه كل شك، وأعلن إسلامه في الحال، لأن العالم الصادق لا يجعل كرامته في الانتصار لرأيه، وإنما في الانتصار للحقيقة.

لكن عبد الله بن سلام كان يعرف قومه أكثر مما يعرفهم غيره، فقال للنبي ﷺ قبل أن يعلن إسلامه: "يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي".

إنها جملة قصيرة، لكنها تختصر خبرة عمر كامل عاشه بينهم. فهو لا يتحدث عن انفعال عابر، بل عن معرفة بطبيعة ردود الأفعال عندما يصطدم الحق بالعصية.

فاستدعاهم رسول الله ﷺ، وسألهم سؤالًا بسيطًا: "أي رجل عبد الله بن سلام

فيكم؟".

فجاء الجواب بلا تردد: "خيرنا، وابن خيرنا، وأعلمنا، وابن أعلمنا".

كانت شهادة جماعية، صدرت قبل أن يعلموا بإسلامه، ولذلك كانت حجة عليهم؛ لأنها خرجت في لحظة لم تكن فيها مصلحة تدعو إلى المدح أو الذم.

ثم سألهم النبي ﷺ: "أرايتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟".

فقالوا مستبشرين ذلك: "أعاده الله من ذلك".

وما إن خرج عبد الله بن سلام، وأعلن شهادته بين يدي رسول الله ﷺ، حتى تبدلت الألسنة، وانقلب الثناء إلى قدح، فقالوا: "شرنا، وابن شرنا".

وهنا ينتهي الحدث... لكنه في الحقيقة يبدأ.

فلو سألنا سؤالًا بسيطًا: ماذا تغير في عبد الله بن سلام خلال هذه الدقائق؟

الجواب: لم يتغير شيء.

لم يفقد علمه، ولم تتبدل سيرته، ولم تظهر عليه خيانة، ولم ينكشف فيه عيب خفي.

الذي تغير هو ميزان قومه.

لقد كان معيارهم قبل لحظات هو العلم



والفضل، ثم أصبح معيارهم الوحيد هو: هل بقي معنا أم اختار الحق الذي نرفضه؟ وهنا يكشف الحديث واحدة من أخطر آفات النفس البشرية، وهي أن العصبية إذا استولت على القلوب، أفسدت ميزان العدل، حتى يصبح الإنسان محبوبًا لا لفضله، بل لانتمائه، ومذموماً لا لخطئه، بل لمخالفته.

ومن هنا ندرك أن المشكلة لم تكن في نقص الأدلة؛ فقد كان عبد الله بن سلام نفسه عالمًا بالتوراة، واستدل بما فيها على صدق النبي ﷺ. وإنما كانت المشكلة في النفوس التي عرفت الحق، لكنها رفضته حين تعارض مع مصالحها أو مكانتها. ولهذا قرر القرآن هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾.

إن المعرفة وحدها لا تهدي صاحبها، وإنما يهديه الصدق في طلب الحق. ولذلك كان الفرق بين عبد الله بن سلام وغيره من الأخبار ليس في مقدار العلم، بل في مقدار الإخلاص؛ فالعلم إذا صاحبه التواضع قاد إلى الإيمان، وإذا صاحبه الكبر تحول إلى حجاب يحول بين صاحبه وبين أوضح الحقائق.

ومن هنا لم يكن اختبار النبي ﷺ لليهود

مجرد كشف لموقفهم من عبد الله بن سلام، بل كان كشفًا لخلل أعمق، وهو خلل الميزان؛ حين يحاكم الناس على أساس الانتماء لا الحقيقة، وعلى أساس الهوى لا البرهان.

وهذه سنة لا تخص أمة بعينها، بل هي تحذير لكل مجتمع، ولكل جماعة، ولكل إنسان؛ لأن أول طريق الظلم يبدأ يوم يتغير الميزان، ويصبح السؤال: "مع من أنت؟" قبل السؤال: "أين الحق؟".

ولذلك لم يكتف عبد الله بن سلام بوصف قومه بأنهم "قوم بهت"، بل ترك لنا مفتاحًا لفهم واحدة من أخطر وسائل الصراع عبر التاريخ.

فالبهتان ليس مجرد كذب، بل هو قلب متعمد للحقائق، وتشويه للسمعة، وإلصاق للتهمة بالأبرياء، حتى يفقد الناس ثقتهم بأهل الحق. ولهذا كان البهتان أخطر من الكذب؛ لأنه لا يكتفي بإخفاء الحقيقة، بل يسعى إلى استبدالها بحقيقة مصطنعة.

وهذا ما وقع في تلك الحادثة؛ إذ لم يناقش اليهود الأدلة التي أقنعت عبد الله بن سلام بالإسلام، ولم يحاولوا الرد على حججه، ولم يسألوه: لماذا آمنت؟ بل تجاوزوا القضية كلها، وبدأوا بالطعن في شخصه. لقد انتقلوا



من مناقشة الفكرة إلى اغتيال صاحبها، لأن إسقاط الشخص - في نظر أصحاب الأهواء - أسهل من إسقاط البرهان.

وهذه ليست حادثة معزولة، بل سنة تتكرر كلما عجز الباطل عن مواجهة الحق بالحجة. ولذلك يخبرنا القرآن أن هذا كان سبيل المكذبين مع الأنبياء، فتارة يصفونهم بالسحر، وتارة بالجنون، وتارة بالكذب، لا لأن الأدلة ضعيفة، بل لأن الحجة إذا عجزوا عن ردها سعوا إلى تشويه حاملها.

ومن هنا تتجلى عظمة المنهج النبوي؛ فإن رسول الله ﷺ لم يدخل معهم في جدل طويل، ولم يكتف بإخبار الناس أنهم كاذبون، وإنما كشف تناقضهم بدليل عملي لا يملك منصف إنكاره. ففي دقائق معدودة ظهر للناس أن الرجل الذي كان عندهم "خيرهم" لم يتغير فيه شيء، وإنما الذي تغير هو أهواؤهم.

وهذا هو الفارق بين منطق الوحي ومنطق الدعاية؛ فالوحي يبني أحكامه على الحقائق، أما الدعاية فتبني أحكامها على المصالح والانفعالات.

ومن يتأمل واقع الصراع في فلسطين اليوم يدرك أن معركة الرواية لا تقل خطرًا عن معركة الميدان. فقبل أن توجه القذائف،

توجه الكلمات، وقبل أن تحتل الأرض، يراد احتلال العقول. وتبذل مؤسسات إعلامية وسياسية جهودًا كبيرة لإعادة تشكيل الوعي، وقلب صورة المعتدي والضحية، وصناعة رواية تخدم أهدافها.

ولا يعني هذا أن كل مشهد معاصر هو تكرار حربي لما وقع في المدينة، فلكل واقعة ظروفها وسياقها، لكن السنن التي يكشفها الوحي في أثر الهوى، والبهتان، والتعصب، تبقى صالحة للاعتبار، لأنها تتعلق بطبيعة النفس البشرية قبل أن تتعلق بزمن معين. ومن هنا فإن القضية الفلسطينية ليست بحاجة إلى روايات مبالغ فيها أو أخبار غير ثابتة؛ فالقضية العادلة لا تحتاج إلى الكذب لتنتصر، لأن الكذب يضرها أكثر مما ينفعها. وإنما تحتاج إلى الصدق، وإلى التوثيق، وإلى خطاب يقوم على العدل، فإن الحق إذا اقترن بالصدق كان أقوى حجة، وأبقى أثرًا.

وفي الوقت نفسه، يعلمنا هذا الحديث ألا نسمح للعاطفة أن تفسد ميزان العدل الذي أمر الله به. فالإسلام لم يجعل ظلم الظالم مبررًا لظلم غيره، ولم يجعل البهتان سلاحًا مشروعًا في مواجهة البهتان، بل قرر قاعدة خالدة قال فيها سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ



شَتَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٠﴾

ولهذا بقي المسلم مطالبًا بأن يكون صادقًا في خبره، عادلاً في حكمه، أمينًا في نقله، حتى مع من يخالفه أو يعاديه؛ لأن العدل ليس موقفًا سياسيًا، بل عبادة يتقرب بها إلى الله.

إن أعظم ما يقدمه حديث عبد الله بن سلام للأمة اليوم أنه يعيد بناء ميزان الحكم. فهو يعلمنا أن الرجال لا يعرفون بانتماؤاتهم، وإنما بمواقفهم من الحق، وأن كثرة المادحين أو كثرة المتهمين لا تصنع حقيقة، وأن حملة التشويه قد تنجح في تضليل بعض الناس زمنًا، لكنها لا تستطيع أن تغير الحقائق في ميزان الله.

لقد خسر اليهود في تلك اللحظة عالمًا من علمائهم، لكنهم قبل ذلك خسروا ميزان الإنصاف. أما عبد الله بن سلام، فقد خسر مكانته عند قومه، وريح شرف الصحبة، ورضا الله، وخلود الذكر في سجل المؤمنين. وهنا تكمن العبرة الكبرى؛ فالمؤمن لا يقيس نجاحه بثناء الناس ولا يخشى ذمهم إذا استقام على الحق. وصدق من قال: "رضا الناس غاية لا تدرك". أما رضا الله فهو الغاية التي تستحق أن يبذل الإنسان من

أجلها كل شيء.

إن الأمة التي تحكمها العصبية تظل أسيرة الانفعال، أما الأمة التي يحكمها الوحي فإنها تجعل العدل فوق الهوى، والحق فوق الأشخاص، والبرهان فوق الدعاية. وهذا هو الدرس الذي تحتاجه الأمة في كل معركة فكرية أو إعلامية أو سياسية.

لقد مضى ذلك الموقف في ظاهر الأمر، لكن رسالته لم تنقض؛ فما زال البهتان يحاول أن يحجب نور الحقيقة، وما زالت الدعاية تحاول أن تصنع واقعًا من الأكاذيب، غير أن سنة الله لا تتبدل: يبقى الحق حقًا وإن حُورب، ويبقى الباطل باطلاً وإن زين، ولا يغير الحقيقة كثرة المرددين للباطل، كما لا ينقصها قلة السائرين في طريقها.

ولهذا يبقى حديث عبد الله بن سلام شاهدًا خالدًا على أن أخطر ما يصيب الأمم ليس قلة العلم، وإنما فساد الموازين؛ فإذا استقام الميزان استقام الحكم، وإذا قدم الحق على الهوى، والعدل على العصبية، كانت تلك بداية الإصلاح، كما كانت بداية هداية عبد الله بن سلام رضي الله عنه يوم قدم الحقيقة على كل اعتبار. ■



رسالة إلى

فلسطيني الشتات

لا تجعلوا فلسطين
ذكرى... اجعلوها
وطنًا حيًّا
في أبنائكم

الأستاذ خالد أنور الصفدي



فلسطين ليست
مجرد أرض تشتاق إليها...
بل أمانة نؤديها
وجيلاً نربيها عليها.



إلى الفلسطينيين في المخيمات، وفي العواصم العربية، وفي أوروبا والأمريكيتين، وفي كل مدينة حملتكم إليها الهجرة أو الدراسة أو العمل أو تقلبات السياسة والحروب.

قد تكون بينكم وبين فلسطين حدود وبحار وقارات؛ لكن الوطن لا يُقاس دائمًا بالمسافة. قد يبتعد الإنسان عن أرضه عشرات السنين، وتبقى رائحة التراب في ذاكرته، وصوت الأذان في قريته، وطريق المدرسة، وشجرة الزيتون، واسم الحارة، ومفتاح البيت الذي لم يعد قائمًا إلا في القلب.

فلسطين بالنسبة إلى أهل الشتات ليست نقطة على الخريطة فقط؛ إنها ذاكرة عائلة، وحكاية جدّ، واسم قرية، وصورة بيت، وحق لم يسقط بطول الغياب.

ولهذا؛ فإن أخطر ما يمكن أن يصيب الفلسطيني في الشتات ليس أن يعيش بعيدًا عن فلسطين، بل أن يكبر أبناءؤه بعيدين عنها في الوعي والوجدان.

أن يولد الطفل في لندن أو برلين أو شيكاغو أو عمّان، ثم لا يعرف من فلسطين إلا صور الحرب، ولا يعرف يافا إلا اسمًا، ولا يسمع عن حيفا إلا في حديث

عابر، ولا يدري أين كانت قرية جده، ولا لماذا بقي مفتاح البيت معلقًا في صدر جدته.

هنا يبدأ الامتحان الحقيقي.

لا تورثوا أبناءكم الألم وحده... أورثوهم الوطن:

حدثوهم عن فلسطين قبل النكبة، لا عن فلسطين بعد المأساة فقط.

حدثوهم عن القدس حين كانت الأسواق تمتلئ بالحياة، وعن يافا وبرتقالها، وحيفا وبحرها، وعكا وأسوارها، وصفد وجبالها، وعن القرى الصغيرة التي كانت تعرف أهلها بيتًا بيتًا.

علّموهم أن الفلسطيني ليس ابن المخيم وحده، وإنما ابن تاريخ وحضارة وأرض وذاكرة.

احفظوا أسماء العائلات، ووثائق البيوت، وصور الأجداد، وعقود الأرض، ومفاتيح المنازل، والحكايات الصغيرة التي لا توجد في الكتب.

فالرواية الفلسطينية لا تحفظ في الأرشيف وحده؛ بل في البيوت.

والبيت الذي يهدم يمكن أن يبقى حيًّا إذا بقيت حكايته، أما البيت الذي يُمحي من الذاكرة فقد يُهدم للمرة الثانية.



اندمجوا... ولكن لا تذوبوا:

كونوا صالحين في البلاد التي استقبلتكم، وتعلموا لغاتها، وتفوقوا في جامعاتها، وادخلوا مؤسساتها، وابنوا حياة كريمة لأبنائكم.

لكن لا تجعلوا نجاحكم ثمنًا لذاكرتكم.

يمكن للفلسطيني أن يكون طبيبًا ناجحًا في أوروبا، وأستاذًا في جامعة أمريكية، ورجل أعمال في الخليج، وباحثًا في لندن، ويبقى في الوقت نفسه ابن القدس أو نابلس أو غزة أو الخليل أو يافا.

الاندماج لا يعني النسيان، والنجاح لا يعني التخلي عن حق العودة، والاستقرار في بلد جديد لا يمحو الوطن الأول.

فحق العودة لا يبقى حيًا بالشعار وحده، بل ببقاء فلسطين حية في الوعي والذاكرة والوثيقة والجيل.

لا تجعلوا فلسطين موسمًا:

لا تجعلوا علاقتكم بفلسطين تبدأ عند الحرب وتنتهي عند وقف إطلاق النار.

القضية تحتاج ما هو أبعد من اللحظة:

تحتاج إلى المحامي الذي يفهم القانون، والأستاذ الذي يصنع المعرفة، والصحفي الذي يكشف التضليل، والباحث الذي يحفظ الوثيقة، ورجل الأعمال الذي يبني

المؤسسات، والطبيب الذي يخدم الناس، والمثقف الذي يحمل الرواية إلى العالم. انتقلوا من ثقافة رد الفعل إلى صناعة التأثير:

كونوا حاضرين في الإعلام والجامعات ومراكز الأبحاث ومؤسسات المجتمع والمجالس بالوسائل القانونية المتاحة. لا تكتفوا بأن يعرف الناس أنكم غاضبون؛ اجعلوهم يعرفون لماذا فلسطين قضية حق.

لا تتركوا الرواية لغيركم:

أخطر ما يمكن أن يحدث بعد ضياع الأرض هو ضياع القصة. إذا لم يكتب الفلسطيني روايته؛ كتبها غيره.

علّموا أبناءكم كيف بدأت القضية، وكيف جرت موجات التهجير، وكيف تغيرت القرى والمدن، وما معنى اللاجئ، وما معنى العودة.

لا تسمحوا أن تتحول فلسطين بعد جيلين أو ثلاثة إلى حكاية غامضة عن مكان كان يعيش فيه الأجداد.

اجعلوا الطفل يعرف اسم قريته، ويراهنا على الخريطة، ويعرف بيت العائلة إن أمكن، ويسمع الحكاية من أصحابها قبل أن



ترحل الأجيال التي عاشت التفاصيل.

فالذاكرة اليوم جزء من معركة البقاء.

لا تجعلوا فلسطين أسيرة خلافاتكم:

يمكن أن تختلفوا في السياسة؛ لكن لا تجعلوا الفصيل أكبر من الوطن.

فلسطين أقدم من الأحزاب، وأوسع من التنظيمات، وأبقى من القيادات المتعاقبة.

ابنوا مؤسسات ثقافية وتعليمية واجتماعية تحفظ الهوية بعيدًا عن

الاستقطاب الذي استنزف الفلسطينيين

أنتم سفراء وطن:

كل فلسطيني في الشتات يحمل وطنه بطريقة ما.

في اسمه، ولهجته، وأخلاقه، ونجاحه، وقصته.

وقد يفتح طبيب أو باحث أو أستاذ جامعي أو صحفي بابًا للقضية لا تفتحه ألف خطبة.

فكونوا نماذج في العلم والأمانة والعدل والإنجاز.

ولا تسمحوا لأحد أن يحول القضية إلى كراهية؛ فالمطالبة بالحق لا تحتاج إلى ظلم أحد، والعدل الذي تطالبون به لأنفسكم ينبغي أن يبقى قيمة تحملونها للناس جميعًا. وأخيرًا... يا من كبرتم بعيدًا عن فلسطين،

ويا من ولد أبنائكم في بلاد لم يروا فيها بحر غزة، ولا أسوار القدس، ولا سهول مرج ابن عامر... لا تياسوا من المسافة.

فربما لا يستطيع الأب أن يعيد أبنائه اليوم إلى البيت الذي خرج منه جده؛ لكنه يستطيع أن يمنع البيت من الخروج من قلوبهم.

اجعلوا فلسطين حاضرة في اللغة، وفي البيت، وفي أسماء المدن، وفي الصور، وفي الكتب، وفي الدعاء، وفي الزيارة إن تيسرت، وفي كل قصة تروى للأبناء.

ولا تسألوا فقط:

متى نعود إلى فلسطين؟

بل اسألوا:

كيف نحفظ فلسطين حتى يأتي يوم العودة؟

فالشتات ليس نهاية الوطن، وإنما امتحان قدرته على البقاء في الذاكرة.

وقد فرقتكم الجغرافيا في عشرات البلدان، فلا تسمحوا لها أن تفرّق فلسطين في قلوب أبنائكم.

كونوا حيث أنتم ناجحين، مؤثرين، نافعين... لكن أبقوا نافذة في كل بيت فلسطيني مفتوحة نحو الوطن. ■



سرقة المكتبات الفلسطينية: حين نُهبت ذاكرة شعب

سنة 1948

الأستاذ
يوسف سليم الطرابلسي



لم تكن نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ اقتلاعًا للإنسان من بيته وأرضه فحسب؛ فقد امتدت يد النكبة إلى شيء أقل ظهورًا في الصور، لكنه لا يقل أهمية عن البيت والمزرعة: الكتاب.

فحين أُفرغت أحياء فلسطينية في القدس، وهُجّر أهل مدن وقرى أخرى، بقيت خلفهم مكتبات شخصية بناها أصحابها خلال عقود: كتب عليها أسماءهم، ومخطوطات ورثوها، وهوامش كتبوها بأيديهم، وإهداءات بين الأدباء والعلماء، وصحف ووثائق كانت تمثل، مجتمعة، خريطة للحياة الفكرية الفلسطينية قبل النكبة.

ثم انتقلت آلاف من هذه الكتب إلى مؤسسات صهيونية.

وهنا تظهر صفحة منسية من تاريخ ١٩٤٨: لم يُقتل الفلسطيني من المكان وحده؛ وإنما فُصل كذلك عن جزء من ذاكرته المكتوبة.

ثلاثون ألف كتاب من القدس:

درس الباحث غيش عميت هذه القضية اعتمادًا على وثائق أرشيفية ومقابلات، وخلص إلى أن المكتبة اليهودية الوطنية والجامعية آنذاك نفذت خلال أبريل ومايو ١٩٤٨ عملية لجمع مكتبات فلسطينية خاصة من الأحياء العربية في القدس الغربية

بعد مغادرة سكانها، وأن عشرات الآلاف من الكتب دخلت مجموعاتهما. وتحدد الدراسة نحو ٣٠ ألف كتاب من القدس.

ولم يكن الأمر متعلقًا بكتب متناثرة بلا أصحاب معروفين؛ فقد حفظت تقارير من تلك المرحلة أسماء عدد من مالكي المكتبات التي وصلت كتبها إلى المؤسسة. كما تشير بحوث لاحقة إلى وصول كتب من حيفا وغيرها من مناطق فلسطين إلى المجموعة نفسها.

الأهم أن العملية لم تكن سرية تمامًا في حينها؛ فقد تحدثت نشرة المكتبة نفسها سنة ١٩٤٨-١٩٤٩ عن جمع آلاف الكتب المهجورة أثناء الحرب، وشكرت العسكريين والجهات الحكومية التي ساعدت في العملية. وهنا تكمن أهمية اللغة: فبمجرد وصف الكتاب بأنه مهجور يختفي صاحبه من الرواية، ويصبح انتقاله من البيت الفلسطيني إلى المؤسسة الجديدة فعل إنقاذ بدل أن يبقى السؤال قائمًا: لمن كان هذا الكتاب؟ ولماذا لم يعد إليه؟

المكتبات التي كان لها أصحاب:

تكشف أسماء أصحاب بعض الكتب حجم الحياة الثقافية التي كانت قائمة قبل النكبة.

من أبرزهم خليل السكاكيني، الذي



كانت له مكتبة خاصة مهمة في منزله بالقدس. وتشير المصادر كذلك إلى مكتبات لشخصيات وعائلات فلسطينية أخرى، من بينها إسعاف النشاشيبي، وإلى وجود مكتبات عائلية مهمة في حيفا ويافا والناصرة وغيرها.

والقصة هنا ليست أرقامًا فقط.

ذهبت دمية وهالة ابنتا خليل السكاكيني، إلى المكتبة بعدما سمعتا أن بعض كتب والدهما موجود فيها. وتذكر دراسة منشورة في Jerusalem Quarterly أنهما تعرفتا على أحد كتبه من خلال ملاحظاته المكتوبة على صفحاته، لكن الكتاب كان مصنّفًا ضمن الممتلكات المهجورة. كما عثر في كتب أخرى على علامات ملكية وإهداءات وأسماء شخصية، منها ما يرتبط بناصر الدين النشاشيبي.

وهنا يصبح الهامش المكتوب بقلم صاحبه وثيقة تاريخية:

هذا الكتاب لم يكن بلا مالك.

سنة آلاف كتاب تحت حرفين: AP

ربما تكون أكثر مفارقات القصة دلالة أن آثارها لم تختف تمامًا.

فالمكتبة الوطنية اليهودية نفسها تعرف اليوم مجموعة تحمل الرمز AP، اختصارًا لـ Abandoned Property - الممتلكات

المهجورة، وتقول: إنها تضم كتبًا وصحفًا ومخطوطات جمعت في القدس ومحيطها خلال ١٩٤٨-١٩٤٩. وتوضح أن ملكية المجموعة ليست للمكتبة نفسها، بل للقيّم العام للدولة، بينما تتولى المكتبة حفظها وإتاحتها.

وتشير دراسة أخرى إلى وجود قرابة ستة آلاف كتاب موسوم بهذا التصنيف، معظمها بالعربية.

لكن الأشد إثارة أن مجموعة AP للمخطوطات وحدها تضم، وفق المكتبة، ٦٠٠ مخطوط، يعود أقدمها إلى القرن الثالث عشر، وتشمل موضوعات في الدين الإسلامي والنصرانية، والتاريخ الفكري، والعلوم، والرياضيات، والأدب. بل تصفها المكتبة نفسها! بأنها نافذة على الثقافة الفلسطينية في أوائل القرن العشرين.

وهذه العبارة ذات دلالة عميقة:

فالمجموعة التي صنف بوصفها ممتلكات مهجورة أصبحت في الوقت نفسه دليلًا ماديًا على ثراء الحياة الفكرية لأصحابها الفلسطينيين.

ما الذي ضاع مع الكتب؟

الكتاب القديم ليس نصًا مطبوعًا فحسب.



قد يحمل توقيع مالكه، وختم مكتبته، وإهداء صديق، وتعليق عالم، وتصحيح مدرس، وتاريخ شراء، واسم مكتبة أو بائع كتب.

وهذه العلامات الصغيرة تسمح للمؤرخ بإعادة بناء شبكة كاملة:

من كان يقرأ... ماذا؟

من كان يهدي الكتب... لمن؟

ما العلوم المنتشرة؟

ما صلة القدس بحيفا ويافا ودمشق والقاهرة وبيروت؟

وما الكتب التي كانت تشكل عقل النخبة الفلسطينية قبل النكبة؟

لهذا؛ فإن إعادة دراسة هذه المجموعة ليست مشروعًا لاسترداد قائمة كتب فقط، بل مشروع لإعادة بناء الخريطة الثقافية لفلسطين قبل ١٩٤٨.

فالنكبة مزقت شبكات ثقافية إلى جانب تمزيقها شبكات المجتمع والعمران.

من الإنقاذ إلى سؤال الملكية:

توجد هنا ضرورة للإنصاف العلمي.

بعض العاملين في المكتبة قدموا العملية باعتبارها إنقاذًا للكتب من التلف والضياع في ظروف الحرب، ودراسة غيش عميت نفسها تناقش هذه الطبيعة المزدوجة بين الإنقاذ والاستيلاء. لكن بقاء الكتب بعيدًا

عن أصحابها وورثتهم، ثم تصنيفها بوصفها ممتلكات مهجورة، يجعل المسألة تتجاوز مجرد حفظ مادي للكتاب إلى سؤال الملكية والذاكرة والحق الثقافي.

وهذا هو السؤال الذي ينبغي ألا يضيع في الجدل:

إذا كان الكتاب قد أنقذ؛ فلماذا لم يعد إلى صاحبه حين عُرف صاحبه؟

مشروع بحث فلسطيني ينتظر من ينجزه:

هذه القضية تصلح اليوم لمشروع علمي كبير.

ينبغي إنشاء قاعدة بيانات رقمية لكل كتاب ومخطوط فلسطيني معروف المصدر من مجموعات ١٩٤٨، وتصوير علامات الملكية والأختام والإهداءات والهوامش، وربطها بأسماء العائلات والمدن والقرى، ثم مقابلة ذلك بالمذكرات والسجلات العائلية والأرشيفات الفلسطينية.

ومن هذه الشظايا يمكن إعادة تركيب مكتبات السكاكيني والنشاشيبي وغيرهما، بل واكتشاف أصحاب لم تعد أسماؤهم معروفة.

وهكذا يتحول الكتاب من ممتلك مهجور إلى شاهد يحمل اسم صاحبه وعنوان بيته وتاريخ مجتمعه.



النكبة التي وقعت على الذاكرة:

كانت نكبة ١٩٤٨ نكبة أرض وإنسان، لكنها كانت كذلك نكبة مكتبة وذاكرة. فالبيوت التي أخلت لم تكن فارغة من التاريخ؛ كانت على رفوفها كتب ومخطوطات وصحف، وفي صفحاتها أسماء أصحابها وهوامش أقلامهم.

وبعد أكثر من سبعة عقود، لا تزال بعض تلك الكتب موجودة، تحمل على ظهورها رمزًا إداريًا صغيرًا (AP) ممتلكات مهجورة.

لكنها لم تكن بلا أصحاب.

كان لها أصحاب يقرأونها، وبيوت تحفظها، وأبناء يعرفون خطوط آبائهم على صفحاتها.

ولذلك؛ فإن استعادة المكتبة الفلسطينية تبدأ قبل استعادة الكتاب ماديًا: تبدأ باستعادة اسمه، وصاحبه، وبيته، وقصته.

فمن أراد أن يمحو شعبًا لا يحتاج دائمًا إلى هدم بيته؛ يكفي أحيانًا أن يفصل الكتاب عن صاحبه، ثم يكتب على غلاف ذاكرته: ممتلكات مهجورة. والبحث التاريخي الجاد مهمته أن يمحو هذه العبارة، ويعيد إلى الكتاب اسمه الأول: ممتلكات فلسطين. ■

مخطوطات المسجد الأقصى:

ذاكرة القدس التي تقاوم المحو

ليست مخطوطات مكتبة المسجد الأقصى أوراقًا عتيقة حُفظت من عادات الزمن، بل هي سجل حيّ لذاكرة القدس العلمية وهويتها الإسلامية، وشاهد على قرون كان فيها الأقصى منارة للعبادة والعلم والتعليم.

وتضم المكتبة تراثًا مخطوطًا في القرآن وعلومه، والحديث، والفقه، واللغة، والتاريخ، والسير، وغيرها من فنون المعرفة. وتزداد قيمة هذه الكنوز بما تحمله بعض نسخها من وقفيات وتملكات وإجازات وسماعات وتعليقات، تكشف أسماء علماء القدس وطلابها وأسرها العلمية، وصلاتها بمراكز المعرفة في العالم الإسلامي.

ولهذا تتجاوز قيمة هذه المخطوطات مضمونها العلمي؛ فهي وثائق حضارية تثبت عمق الحضور الإسلامي والعربي في القدس، وتروي جانبًا من تاريخ مدارسها وعلمائها وأوقافها وحياتها الثقافية.

وفي مدينة تتعرض هويتها لمحاولات التغيير والطمس، تصبح حماية هذا التراث مسؤولية تتجاوز الحفظ المادي إلى الفهرسة والرقمنة والتحقيق والإتاحة للباحثين.

فحماية مخطوطات الأقصى ليست إنقاذًا لكتب قديمة فحسب؛ إنها حماية لذاكرة القدس من أن تُسرق، ولشاهد حضاري من أن يُمحي.



الأمريكان يقاتلون في سبيل الله؟

الجهاد الأفغاني بين
والاستثمار الغربي وفتنة الاقتتال

الدكتور
عبد العزيز ناصر الوهبي



للحدود.

والإنصاف يقتضي منذ البداية ألا نقع في خطأين: فلا يجوز إنكار حق الشعب الأفغاني في مقاومة الاحتلال السوفييتي، ولا يجوز في المقابل تحويل كل ما وقع تحت عنوان الجهاد الأفغاني إلى تجربة مقدسة فوق النقد.

فالحق شيء، والطريقة التي يدار بها الحق شيء آخر.

لم تصنع أمريكا المقاومة... لكنها
عرفت كيف تستثمرها:
دخل الجيش السوفييتي أفغانستان

كان الشاب المسلم يحمل بندقيته وهو يعتقد أنه يقاتل في سبيل الله، وكانت واشنطن تمد الميدان بالسلاح؛ لأنها تقاتل في سبيل المصلحة الأمريكية. التقت البندقيتان في لحظة تاريخية واحدة؛ لكن الغايتين لم تلتقيا قط. ومن هذه المفارقة تبدأ واحدة من أكثر صفحات التاريخ الإسلامي المعاصر حاجة إلى المراجعة: التجربة الأفغانية في مواجهة الاحتلال السوفييتي، وما أحاط بها من توظيف دولي، ثم ما أعقب النصر من اقتتال بين الفصائل، وما خرج من بيئتها لاحقاً من شبكات تكفير وغلو وعنف عابر



في ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٩، لكن المقاومة الأفغانية كانت قد بدأت قبل الغزو؛ بل تكشف الوثائق الأمريكية الرسمية أن واشنطن كانت تدرس منذ أوائل ١٩٧٩ إمكان مساعدة المعارضين الأفغان، وبدأ برنامج سري في يوليو/تموز من ذلك العام بالمساعدات غير القتالية والنقد والدعاية. وبعد التدخل السوفييتي المباشر، أصدر الرئيس جيمي كارتر في ٢٨ ديسمبر ١٩٧٩ قرارًا بتوسيع البرنامج ليشمل الأسلحة الفتاكة.

وهذه الحقيقة مهمة؛ لأنها تصح روايتين متقابلتين.

لم تكن المقاومة الأفغانية اختراعًا أمريكيًا؛ فقد كان للأفغان دوافعهم الدينية والوطنية الحقيقية لمقاومة النظام الشيوعي ثم الاحتلال السوفييتي. لكن أمريكا كذلك لم تدخل المشهد حُبًا في الإسلام ولا نصرًا للجهاد.

كانت أفغانستان ساحة من ساحات الحرب الباردة.

وتصف وزارة الخارجية الأمريكية العملية التي بدأت في عهد كارتر بأنها أصبحت لاحقًا واحدة من أكبر وأطول العمليات السرية الأمريكية، وكان الهدف الاستراتيجي مواجهة التوسع السوفييتي

والمساعدة في دفع موسكو إلى الانسحاب. إذن لم يكن الأمريكي يقاتل في سبيل الله... كان يقاتل في سبيل أمريكا!!

عندما يلتقي المجاهد والمخابرات في عدو واحد:

تكشف وثيقة لوكالة الاستخبارات المركزية مؤرخة في يونيو/حزيران ١٩٨٠ أن الوكالة كانت قد طلبت أسلحة بنحو ثلاثين مليون دولار، وأن السلاح كان ينقل عبر شبكة تشارك فيها مصر والسعودية وباكستان، ثم يوزع عبر التنظيمات الأفغانية الموجودة في بيشاور.

وهنا تكمن إحدى أهم عبر التجربة: قد تلتقي قضيتك العادلة مع مصلحة قوة كبرى دون أن تصبح تلك القوة شريكة لك في الغاية.

كان الأفغاني يريد إخراج السوفييتي من بلده.

وكانت أمريكا تريد إنهاء الاتحاد السوفييتي.

وكانت باكستان تفكر في أمنها ونفوذها. وكانت دول أخرى تملك حساباتها الخاصة.

العدو واحد؛ لكن المشروعات متعددة. وهذه من قواعد السياسة التي ينبغي ألا



يغفلها المسلم: تقاطع المصالح لا يعني وحدة المبادئ، ومن أعطاك السلاح اليوم قد لا يريد لك غداً الدولة التي تريدها أنت.

وهل صنعت الـCIA الأفغان العرب؟

هنا أيضاً يجب أن نكون عادلين. تنتشر مقولة أن الاستخبارات الأمريكية أنشأت المتطوعين العرب ودربتهم ثم صنعت منهم تنظيم القاعدة؛ لكن البحث التاريخي الجاد لا يثبت هذه الصورة الساذجة.

فدراسة الباحث توماس هيغهامر عن ظاهرة المقاتلين المسلمين الأجانب ترى أن تعبئة العرب لأفغانستان نشأت بدرجة كبيرة من شبكات إسلامية عابرة للحدود كانت موجودة أصلاً، وأن الحرب الأفغانية ساعدت لاحقاً على إنتاج حركة أوسع للمقاتلين الأجانب، لكنها ظاهرة لا تختزل في الدعم الأمريكي ولا تتطابق كلها مع القاعدة.

وهذا التصحيح لا يعفي السياسة الأمريكية من توظيف الحرب؛ وإنما يمنعنا من استبدال التاريخ بنظرية مؤامرة شاملة.

أمريكا استثمرت الحرب؛ لكنها لم توجد من الصفر إيمان الأفغاني ولا حماسة

الشاب العربي.

وهنا كانت المشكلة: طاقة دينية هائلة دخلت ساحة دولية معقدة لم يكن كثير من شبابها يملك أدوات قراءة السياسة التي تحيط به.

انتصروا على السوفييت... فهل انتصروا على أنفسهم؟

خرج آخر جندي سوفييتي من أفغانستان سنة ١٩٨٩.

كان ذلك انتصاراً تاريخياً للمقاومة الأفغانية.

لكن السؤال الذي لم يحسم كان أخطر: ماذا بعد الانتصار؟

وبعد سقوط حكومة نجيب الله سنة ١٩٩٢؛ ظهرت الإجابة المرة.

بدل أن تتحول تضحيات سنوات الحرب إلى دولة تجمع الأفغان، دخلت فصائل المجاهدين في صراع دموي على كابل والسلطة.

وتوثق تقارير حقوق الإنسان أن العاصمة تعرضت لقصف صاروخي ومدفعي شديد، وأن قتال أغسطس/ آب ١٩٩٢ وحده قتل ما لا يقل عن ألفي شخص، معظمهم من المدنيين، وهجر مئات الآلاف.

وفي السنة التالية استمرت المعارك،



وظل حكم الدولة لا يتجاوز أجزاء من العاصمة بينما توزعت مناطق أخرى بين القوى المتنافسة.

وهنا كانت الكارثة الأخلاقية والسياسية: رجال قاتل بعضهم إلى جوار بعض ضد المحتل، ثم وجَّه بعضهم السلاح إلى بعض بعد رحيله.

أسوأ صورة يمكن أن يقدمها المنتصر: كان العالم قد شاهد رجالاً يقاومون واحدة من أقوى الإمبراطوريات العسكرية في القرن العشرين.

ثم شاهد كابل نفسها تحترق بصواريخ الفصائل المنتصرة.

أي صورة أشد إيلامًا من هذه؟
نبحوا في سؤال:

كيف نخرج السوفييت؟

لكنهم فشلوا في سؤال:

كيف نحكم أفغانستان بعد خروج السوفييت؟

وهذه ليست ملاحظة تاريخية عابرة؛ إنها قاعدة استراتيجية.

إسقاط العدو أسهل أحيانًا من بناء الدولة.

والشجاعة في الجبهة لا تعني بالضرورة الحكمة في السياسة.

وصدق النية لا يغني عن العلم. والقدرة على حمل البندقية لا تعني القدرة على إدارة المجتمع.

عندما تتحول ساحات الجهاد إلى مدارس للغلو:

كما أفرزت التجربة مشكلة أخرى.

فالحرب الطويلة أنتجت شبكات من المقاتلين والمتطوعين والعلاقات العابرة للحدود، وأصبحت التجربة الأفغانية محطة مركزية في نشوء ظاهرة "المقاتلين الأجانب" التي امتدت لاحقًا إلى ساحات أخرى.

وليس صحيحًا أن كل من ذهب إلى أفغانستان أصبح تكفيريًا أو انضم إلى القاعدة؛ فهذا ظلم تاريخي.

لكن الصحيح أن بيئة الحرب، وضعف التأصيل عند بعض الشباب، والانفصال عن العلماء الراسخين، وثقافة التنظيمات السرية، وسهولة الانتقال من ساحة إلى أخرى؛ كل ذلك أتاح لبعض التيارات الغالية أن تستقطب قسمًا من هؤلاء.

وهكذا تحول بعض الشباب الذين خرجوا بنية نصره المسلمين إلى وقود لمشروعات تكفيرية وصراعات لم تكن هي القضية التي خرجوا من أجلها أول



مرة.

وهنا يظهر الفرق بين الجهاد الشرعي وبين صناعة "المقاتل الدائم" الذي يحتاج دائمًا إلى عدو وساحة جديدة. أين كان الخلل؟

الخلل لم يكن في مقاومة الأفغاني للمحتل السوفييتي.

بل في أشياء أخرى: ضعف فقه السياسة، وتعدد الولاءات، والارتهان الجزئي لداعمين خارجيين، وغياب المشروع المتفق عليه لليوم التالي، وضعف المرجعية العلمية التي تضبط الشباب، وتحول بعض التنظيمات من وسائل لتحقيق مقصد إلى غايات تتصارع على السلطة.

وهذه كلها تؤكد قاعدة عظيمة:

الجهاد بلا علم ينحرف، والسلاح بلا سياسة شرعية يتحول من صدر العدو إلى صدر الأخ، والنصر بلا مشروع دولة يصبح بداية حرب جديدة.

الدرس الذي ينبغي ألا ننساه:

أفغانستان ليست قصة ينبغي استخدامها للطعن في كل مقاومة، كما لا يجوز استخدامها لتقديس كل من حمل السلاح.

إنها مدرسة يجب أن نتعلم منها.

فالقوة الكبرى حين تساعدك لا تصبح وليًا لك.

والسلاح الذي يصل إليك لا يعني أن القرار أصبح لك.

والعدو المشترك لا يصنع صديقًا دائمًا.

والانتصار العسكري لا يكفي إذا لم تكن تعرف ماذا ستفعل في صباح اليوم التالي.

وهذه قاعدة تنطبق على كل قضية كبرى، ومنها فلسطين:

لا تسمح لقضيتك العادلة أن تصبح بندًا في استراتيجية غيرك.

الأمريكان يجاهدون في سبيل الله؟!

لا... لم (ولن) يكونوا كذلك.

كان الأفغاني المؤمن يقاتل دفاعًا عن دينه وبلده، بينما كانت واشنطن تخوض حربًا باردة ضد موسكو. تقاطع المساران زمنًا، ولم تتحد الغايات.

ثم خرج السوفييت، وحققت الولايات المتحدة هدفًا استراتيجيًا كبيرًا، بينما بقي الأفغان أمام السؤال الذي كان ينبغي أن يستعدوا له قبل النصر: من يبني الدولة بعد الحرب؟



السلفيون في الجهاد الأفغاني صفحة لا تمحى ولا تنسى

من الصفحات التي يغفل عنها كثير من مؤرخي الجهاد الأفغاني الحضور المبكر للسلفيين، وفي مقدمتهم الشيخ جميل الرحمن الأفغاني. فقد شارك في مقاومة النظام الشيوعي، ثم برز في ولاية كُنر، حتى تمكنت «جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة» في أواخر الثمانينيات من بسط نفوذها على أجزاء واسعة من الولاية، وأقامت فيها كيانا ذا توجه سلفي.

ولم تكن التجربة على علاقة بالمشروع الأمريكي؛ بل نشأت في سياق أفغاني إسلامي سابق ومستقل في أهدافه.

لكن نجاح تجربة جميل الرحمن أدخله في صراع مرير مع حزب حكمتيار الإخواني على النفوذ في كُنر، وانتهت المواجهات سنة ١٩٩١ بسقوط إمارته وسيطرة الحزب على مناطقها. ثم اغتيل الشيخ في باجور بباكستان على يد مجرم مصري يدعى عبد الله الرومي؛ وتوجد روايات قوية تربط الاغتيال بحكمتيار.

والدرس الأهم: أن التاريخ العادل لا يمحو الدور السلفي في مقاومة الشيوعية وأعداء الأمة وإن حاول اهل البدع والخرافات إخفاءه؛ لكن الشمس لا تغطي بغربال!

وعندما غاب الجواب، تكلم السلاح. وهنا الدرس الذي يجب أن يُكتب للأجيال:

لا يكفي أن تعرف عدوك؛ يجب أن تعرف مشروعك.

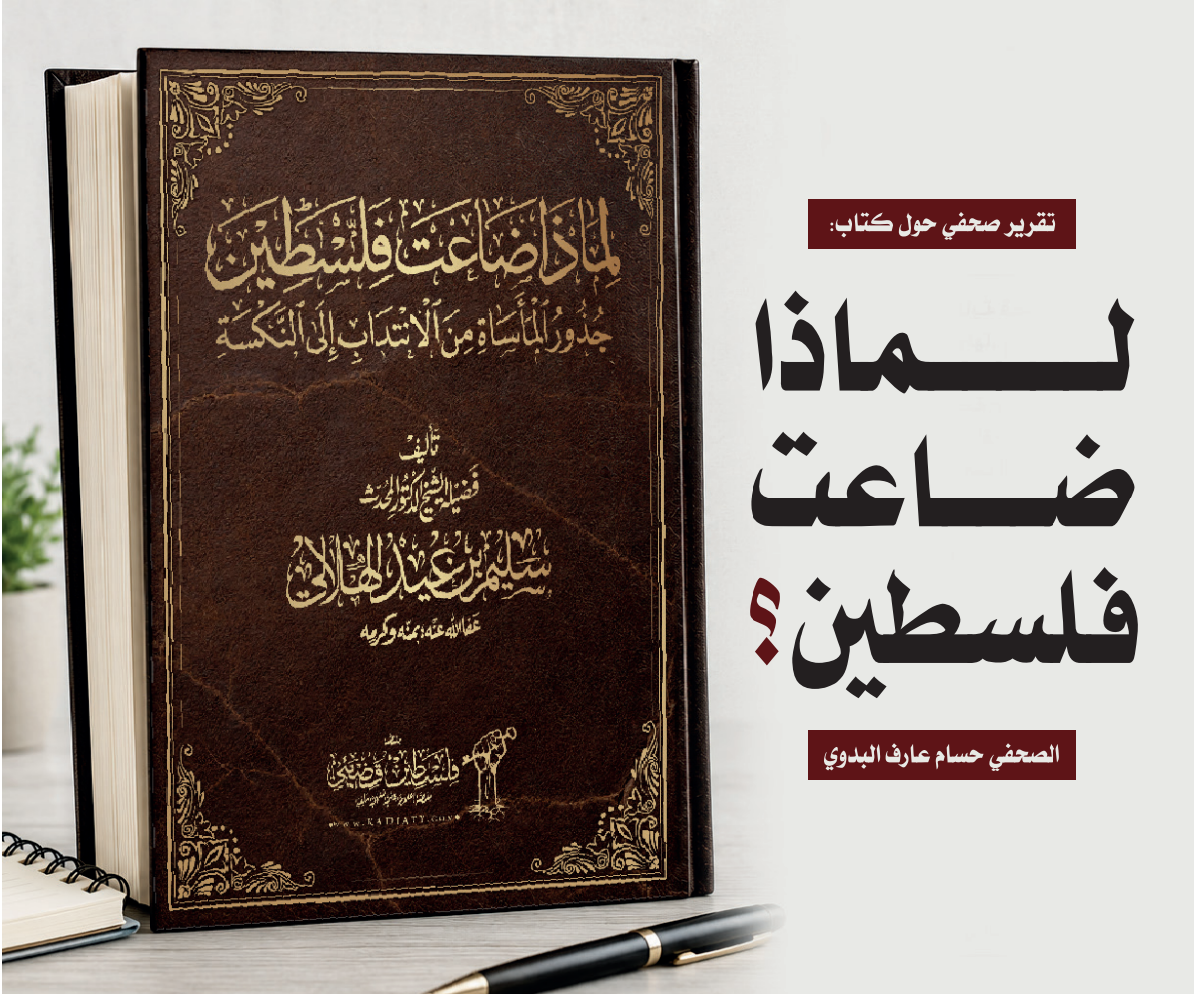
ولا يكفي أن تنتصر في الحرب؛ يجب أن تكون قادرًا على صناعة السلام بعد النصر.

ولا يكفي أن يكون هدفك مشروعًا؛ يجب أن تكون وسائلك وقيادتك ومآلات قرارك منضبطة بالشرع.

ولا تجعل حماسة الشباب أغلى ما تقدمه الأمة للآخرين في حروبهم.

فأخطر ما يمكن أن يقع لأمة ليس أن يستغل عدوها ضعفها، وإنما أن يستغل قوتها وإيمان شبابها وشجاعتهم؛ لتحقيق أهدافه، ثم يتركهم بعد انتهاء المعركة يتنازعون على أنقاض وطنهم. والمنهج السلفي الذي نحتاجه لا يقتل روح النصر والجهاد، وإنما يحميها بالعلم، ويربطهما بالعلماء، ويضبطهما بالسياسة الشرعية، ويحفظ دماء المسلمين من أن تصبح وقودًا لمشروعات لا يعرف أصحابها لمن ستكون الثمرة في نهاية الطريق. ■





تقرير صحفي حول كتاب:

لماذا ضاعت فلسطين؟

الصحفي حسام عارف البدوي

لا يتعامل الكتاب مع النكبة بوصفها
حادثة عسكرية بدأت سنة ١٩٤٨، ولا
يختزل المأساة في وعد بلفور أو الانتداب
البريطاني أو التفوق العسكري الصهيوني،
وإنما يحاول تفكيك شبكة واسعة من
الأسباب الداخلية والخارجية التي تضافرت
حتى أصبح المشروع اليهودي الصهيوني
قادرًا على الانتقال من فكرة نشأت في
أوروبا إلى كيان استيطاني يحتل فلسطين،
ويتمدد في أرضها.

صدر عن منصة فلسطين قضيتي كتاب
«لماذا ضاعت فلسطين؟ جذور المأساة
من الانتداب إلى النكسة»، تأليف شيخنا
الدكتور سليم بن عيد الهلالي وفقه الله
وجزاه الله خيرًا، وهو دراسة منهجية
وسياسية وتاريخية تسعى إلى إعادة
قراءة القضية الفلسطينية من جذورها،
والإجابة عن سؤال ظل حاضرًا في الوعي
العربي والإسلامي منذ أكثر من قرن:
لماذا ضاعت فلسطين؟



ومن هنا تأتي أهمية السؤال الذي يحمله عنوان الكتاب؛ فهو لا يسأل: ماذا حدث لفلسطين؟ فذلك معروف في خطوطه الكبرى، وإنما يسأل عن الأسباب التي جعلت ما حدث ممكنًا.

من جذور المأساة:

يعود الكتاب بالقارئ إلى المقدمات البعيدة للنكبة، فيدرس حالة العالم الإسلامي قبيل السقوط، وضعف الدولة العثمانية، وصعود الاستعمار الأوروبي، ونشأة المشروع الصهيوني وتطور مؤسساته السياسية والاقتصادية والاستيطانية والعسكرية.

وفي مقابل هذا البناء المنظم للمشروع الصهيوني، يرصد الكتاب ما أصاب الأمة من ضعف سياسي، وتراجع في الوعي، وتفكك في القرار، واضطراب في ترتيب الأولويات، ثم يتابع كيف تحولت هذه الاختلالات تدريجيًا إلى واقع استفاد منه المشروع الاستعماري.

وبذلك لا تبدو نكبة ١٩٤٨ في الكتاب بداية القصة، وإنما إحدى نتائجها الكبرى.

الوثيقة تتحدث:

ومن أبرز ما يميز الكتاب اعتماده على الوثيقة التاريخية النادرة بوصفها شاهدًا على التحليل، لا مجرد مادة تكميلية.

فهو يستحضر عددًا من الوثائق والمشروعات والقرارات التي صنعت التحولات الكبرى في القضية، ويقرأها ضمن سياقها التاريخي والسياسي؛ ليكشف كيف انتقلت فلسطين، خطوة بعد أخرى، من أرض إسلامية تواجه مشروعًا استيطانيًا إلى نزاع تديره المؤسسات الدولية.

ولا يقف الكتاب عند الوثائق الغربية والصهيونية، بل يستنطق المواقف العربية والفلسطينية أيضًا، ويبحث عن مواضع الخل وسوء التقدير والتنازل، واضعًا الجميع أمام ميزان المسؤولية التاريخية.

لا مؤامرة خارجية وحدها:

الميزة الأخرى في الكتاب أنه لا يقع في التفسير المريح الذي يلقي المسؤولية كاملة على بريطانيا أو الولايات المتحدة أو الحركة الصهيونية.

فمع إبرازه الدور الاستعماري الكبير في صناعة المأساة، يطرح السؤال الأصعب: ماذا عن أخطائنا نحن؟

يناقش الكتاب ضعف المشروع الإسلامي الجامع، والانقسامات العربية والفلسطينية، وصعود القومية والعلمانية، وأثر التنزع السياسي والفصائي، وضعف التخطيط الاستراتيجي، ثم التحول التدريجي من مشروع تحرير فلسطين



إلى إدارة الصراع والتفاوض على أجزاء من الأرض.

وهذه المراجعة لا تنطلق من جلد الذات، وإنما من قاعدة واضحة: لا يمكن تصحيح مسار لا نمتلك الشجاعة للاعتراف بأخطائه.

معركة المصطلحات:

ويولي الكتاب اهتمامًا خاصًا لما يسميه معركة المصطلحات؛ إذ يرى أن ضياع الأرض سبقه ورافقه تغيير في اللغة التي توصف بها القضية.

فحين يصبح الاحتلال "نزاعًا"، والتحرير "عملية سلام"، والحقوق الثابتة "قضايا الوضع النهائي"، لا يعود تغيير الألفاظ شأنًا لغويًا بريئًا، وإنما يصبح جزءًا من إعادة تشكيل الوعي.

ومن هنا يحذر الكتاب من خطورة أن يخسر الفلسطيني والعربي والمسلم روايته قبل أن يخسر معركته؛ لأن من ينجح في فرض قاموسه يستطيع أن يحدد حدود النقاش ونتائج.

من النكبة إلى أوصلو:

ولا تتوقف الدراسة عند ١٩٤٨ أو ١٩٦٧، بل تتابع التحولات التي مرت بها القضية وصولًا إلى أوصلو وما بعدها، وتدرس كيف انخفض سقف المطالب تدريجيًا، وكيف

انتقلت القضية من تحرير فلسطين إلى البحث عن دويلة محدودة السيادة، منزوعة الدسم، ثم كيف فتحت موجات التطبيع والمشروعات الإقليمية الجديدة الباب أمام محاولات إعادة صياغة القضية نفسها.

ويضع الكتاب هذه التحولات ضمن سلسلة واحدة، حتى يفهم القارئ أن ما نراه اليوم ليس منفصلًا عما وقع بالأمس.

ما الذي يميز الكتاب؟

يتميز "لماذا ضاعت فلسطين؟" بعدة عناصر؛ أبرزها الجمع بين التأصيل الشرعي والتحليل التاريخي والقراءة السياسية والوثيقة الأصلية، وربط الأسباب الخارجية بمواطن الخلل الداخلية، وعدم الوقوف عند مرحلة زمنية واحدة، إضافة إلى معالجة معركة المفاهيم والمصطلحات، وربط الماضي بالواقع والمستقبل.

كما لا يكتفي الكتاب بتشخيص أسباب الضياع، بل ينتقل في أبوابه الأخيرة إلى تصحيح المسار وبناء رؤية استراتيجية للتحرير، بحيث يصبح فهم الماضي مدخلًا لصناعة المستقبل، لا مناسبة للبكاء عليه.

ويتناول كذلك مكانة فلسطين في التصور الإسلامي وما يتصل بها من النصوص الشرعية، بما يعيد القضية إلى فضاءها الإسلامي الأوسع، بعيدًا عن اختزالها في



كتاب «عمامة الخميني وأكذوبة القدس»

كتاب يكشف حقيقة الموقف
الإيراني الرافضي من فلسطين
والدول السنية، ويتتبع المسافة
بين الشعارات المعلنة والسياسات
والممارسات على الأرض.

يقرأ المشروع الإيراني الصفوي
منذ الثورة الخمينية، ويحلل
توظيف القضية الفلسطينية
في بناء النفوذ الإقليمي، ويضع
خطاب «القدس والمقاومة» أمام
ميزان الوقائع والنتائج.

ليس الكتاب سجلاً طائفيًا،
وإنما محاولة لفهم مشروع
سياسي وطائفي وعقدي رفع راية
فلسطين، ثم تركت ممارساته
سؤالاً كبيراً:

هل كانت القدس غاية في
ال مشروع الإيراني أم ورقة لخدمة
مشروعه الإقليمي؟

من منشورات منصة «فلسطين قضيتي»

حدود الجغرافيا أو الحسابات الحزبية.

لماذا هذا الكتاب الآن؟

يصدر الكتاب عن منصة فلسطين
قضيتي في مرحلة شديدة الحساسية؛
مرحلة تتغير فيها المنطقة، وتتسارع
فيها مشروعات الاستيطان والتهويد
والتطبيع، وتتعرض فيها الرواية
الفلسطينية لمحاولات إعادة كتابة
واسعة.

ولهذا؛ فإن السؤال: "لماذا ضاعت
فلسطين؟" ليس استدعاءً للماضي،
بل سؤال عن المستقبل.

فالذين لا يعرفون كيف بدأت
الهزيمة قد يعيدون أسبابها، والذين
لا يقرؤون تاريخهم بوعي قد يجدون
أنفسهم أسرى للرواية التي كتبها
خصومهم.

وتلك هي الرسالة الأعمق للكتاب:
معرفة أسباب ضياع فلسطين ليست
كتابةً في تاريخ النكبة فحسب؛ إنها
الخطوة الأولى حتى لا يستمر الضياع،
وحتى تعرف الأجيال القادمة من أين
يبدأ طريق الاستعادة. ■



الخطاب الديني التوراتي

في مراحل إقامة الدولة اليهودية

الدكتور إياد أبو سعدة



القرن 19

بدايات الفكرة الصهيونية في أوروبا وأمريكا

1897

المؤتمر الصهيوني الأول
بازل - سويسرا

1917

وعد بلفور
بداية الدعم السياسي
لإقامة وطن قومي لليهود

1920-1947

الانتداب البريطاني
على فلسطين
والهجرة اليهودية
المتزايدة

1948

قيام دولة إسرائيل
على أرض فلسطين

1967-1990

الحروب والتوسع
وترسيخ الدولة
والتحالفات

1990-2020

تحالفات استراتيجية
وهندسة سياسية
واستراتيجية

2020 - وما بعدها

التصعيد مع إيران
وحروب الظل
 وإعادة رسم المنطقة

الحلقة الثانية

في العدد السابق تم تصوير الواقع الذي كان يعيشه اليهود في أوروبا، وكيف تم تهئية النفسية اليهودية والأجواء السياسية في أوروبا لتحقيق المشروع من خلال توظيف الجيتو للانتقال إلى المرحلة الثانية من التخطيط، وهي مرحلة التأسيس القائم على تسييس الخطاب الديني.

فقد تم في هذه المرحلة توظيف النصوص التوراتية أيديولوجيًا لتلعب دورًا محوريًا كـ «قوة ناعمة» و«خلفية فكرية» شكلت مخرجات مؤتمر بازل (١٨٩٧) من جهة، ومثلت الجسر اللاهوتي والسياسي الذي عبرت فوقه الحركة الصهيونية للوصول إلى «وعد بلفور» (١٩١٧) من جهة أخرى.



وظهر هذا الأثر والعلاقة على النحو الآتي:

أولاً: أثر النصوص والتعبئة الدينية على مخرجات مؤتمر بازل (١٨٩٧)

برئاسة ثيودور هرتزل عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا. ورغم أن هرتزل وقادة المؤتمر كانوا شخصيات علمانية بامتياز؛ إلا أنهم أدركوا أن مشروعاتهم سيفشل دون استدعاء "المخزون اللاهوتي" كعامل جذب وحيد للكتل البشرية اليهودية.

تجلى أثر هذه النصوص في مخرجات المؤتمر كالتالي:

١- تحديد وجهة المشروع (فلسطين حتمياً).

٢- صياغة مفهوم "الشعب القومي" بدلاً من "طائفة دينية" تعيش في شتات الأرض، وله الحق في تقرير المصير.

٣- تأسيس "الصهيونية الدينية" كجناح للمشروع؛ باستقطاب حاخامات بارزين (مثل الحاخام شموئيل موهليفير والحاخام يعقوب راينس) عبر إقناعهم بأن العمل السياسي والهجرة هما البداية العملية لتحقيق نبوءات "جمع الشتات"، مما

أدى لاحقاً لتأسيس حركة "المزراحي" (الصهيونية الدينية) التي جعلت من تلك النصوص وقوداً للاستيطان.

ثانياً: علاقة هذه النصوص باستصدار وعد بلفور (١٩١٧):

اعتمدت الصهيونية اللاهوت التوراتي الذي كان المفتاح السحري لمخاطبة "الخارج المسيحي الأوروبي"، وتحديدًا صناع القرار في بريطانيا.

حيث كان وعد بلفور مدعوماً من "الصهيونية المسيحية" التي تغلغت في النخبة الحاكمة البريطانية، فقد كانت عقيدة بلفور ولويد جورج: نشأ آرثر بلفور في بيئة تدرس العهد القديم حرفياً، وكان يرى الصهيونية أداة لتصحيح "خطأ" تاريخي ضد شعب الله المختار، فيما كان لويد جورج مأخوذاً بجغرافيا فلسطين التوراتية منذ طفولته؛ حيث كانت أسماء المواقع فيها مثل: (حبرون، والناصر، وبيت لحم) كانت مألوفة لديه في طفولته أكثر من أسماء المدن البريطانية، بسبب دراسته للتوراة.

وقد أسهم توظيف حايم وايزمان للغة اللاهوتية في المفاوضات مع الحكومة



البريطانية الذي لم يخاطب بلفور ولويد جورج بلغة السياسة والمصالح الإستراتيجية فحسب، بل خاطبهم بلغة "الكتاب المقدس"؛ حيث كان يذكرهم بنصوص أشعيا وإرميا حول "إعادة بناء الخرائب" ودور القوى الأممية (مثل الملك كورش) في دعم هذا الوعد الإلهي. - توظيف مفهوم مستنبط من النصوص اللاهوتية وهو "فلسطين.. أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"؛

وقد روج هذا الشعار اللورد شافتسبري (وهو مسيحي صهيوني بريطاني) قبل الوعد بعقود، فقد صوّر فلسطين كأرض "مقدسة مهجورة تنظر عودة بنيها"، متجاهلين تمامًا وجود الشعب المسلم الفلسطيني العربي الأصيل عليها.

وهكذا يتجلى دور اللاهوت الوظيفي في امتطاء النصوص الدينية لتمرير المشروع الصهيوني المعقد.

حيث حولت الصهيونية نصوص العهد القديم إلى دولة سياسية؛ ليحظى مشروعها بالقبول، فحين برزت الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر كحركة سياسية علمانية؛ واجهت تحديًا مزدوجًا: التحدي الأول: إقناع الجموع اليهودية

(التي كان قطاع واسع منها يرفض إقامة دولة قبل مجيء المسيح) بالهجرة. التحدي الثاني: إقناع القوى الاستعمارية بتبني المشروع.

ما هي الخطوات العملية التي قامت الصهيونية العلمانية بتنفيذها لتجاوز هذه المعضلة؟!

لجأت القيادات الصهيونية إلى استراتيجية "تسييس الدين، وعلمنة النص".

حيث تم نزع الوعود التوراتية من سياقها التاريخي وتحويلها إلى برنامج سياسي وجغرافي نفعي، التقى لاحقًا مع عقيدة "الصهيونية المسيحية (الإيفانجيليكية)" في بريطانيا، والتي تؤمن بجمالية عودة اليهود؛ لتسهيل العودة الثانية للمسيح عبر الخطوات الآتية:

أولاً: التوظيف النصي المزدوج:

١- استنطاق نصوص من الكتاب المقدس بمادة ذات طابع مؤثر ومثير لإقناع القيادات السياسية الأوروبية (الإيفانجيليكية) بالمشروع:

أ- نص "ميثاق الأرض": لتصوير المشروع على أنه إرادة إلهية، وليس غزوًا استعماريًا: سفر التكوين (١٥: ١٨):



”في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقًا قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات“.

ب- نص ”جمع الشتات“: لإقناع بريطانيا بأنها تؤدي دورًا نبويًا يشبه دور الملك ”كورش“ في إنهاء سبي بابل: سفر أشعيا (١١: ١١-١٢): ”ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعود ليعطف يده ثانيةً ليقطني بقية شعبه... ويرفع رايةً للأمم، ويجمع منفي إسرائيل، ويضم مشتوتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض“.

٢- نصوص لإقناع اليهود بالهجرة:

أ- نص ”نسيان أورشليم“: لإثارة الشعور بالذنب لدى اليهود الاندماجين في الغرب: مزمو (١٣٧: ٥-٦): ”إن نسيبتك يا أورشليم، تنسى يميني! ليلتصق لساني بجنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضل أورشليم على رأس فرحي!“.

ب- نصوص ”الفلاحة والتشجير“: لشحن المستوطنين الشباب وتحويلهم إلى مزارعين ومقاتلين مرتبطين بالأرض: سفر عاموس (٩: ١٤-١٥): ”ويرد سبي شعبي إسرائيل فيبنون مدناً خربةً ويسكنون، ويغرسون كروماً ويشربون خمرها... وأغرسهم في أرضهم، ولن يقلعوا

بعد من أرضهم التي أعطيتهم، قال الرب إلهك“.

ت- نص ”جبال إسرائيل“: لإقناع اليهود الخائفين بأن الأمان والبركة الاقتصادية لا تتحقق إلا في فلسطين: سفر حزقيال (٣٦: ٨): ”أما أنتم يا جبال إسرائيل، فإنكم تنبتون فروعكم وتثمرون ثمركم لشعبي إسرائيل؛ لأنهم قريبو الإتيان“.

ثانياً: التأثير على مخرجات مؤتمر بازل (١٨٩٧):

وظف مؤتمر بازل برئاسة هرتزل المخزون اللاهوتي كأداة تعبئة حاسمة، وتجلى ذلك في:

١. حسم الجغرافيا: استبعاد خيارات (الأرجنتين وأوغندا)، وإعلان فلسطين وجهًا حتميًا لبرنامج المؤتمر لامتلاكها قوة الجذب الروحية الوحيدة.

٢. تحويل الطائفة إلى أمة: علمنة النصوص التي تتحدث عن ”إسرائيل كأمة“ لإعادة تعريف اليهود ك”شعب قومي سياسي“ يستحق تقرير المصير.

٣. استقطاب الحاخامات: استمالة القادة الدينيين (تأسيس حركة المزراحي لاحقًا) عبر تصوير العمل السياسي والهجرة



كبدية مادية لتحقيق النبوءات.

ثالثاً: علاقة النصوص باستصدار وعد بلفور (١٩١٧):

مثلت التوراة الجسر الفكري لمخاطبة النخبة الحاكمة البريطانية المتأثرة بالتربية الدينية الإيفانجيليكية:

١- دبلوماسية حاييم وايزمان: خاطب وايزمان القادة البريطانيين آرثر بلفور ولويد جورج بلغة النبوءات (أشعيا وإرميا) حول "إعادة بناء الخرائب"، واضعاً بريطانيا في دور المحقق للمشينة الإلهية. ٢- شعار "أرض بلا شعب": روج له المسيحي الصهيوني اللورد شافتسبري، بناءً على قراءة حرفية تعزل النص عن الواقع، متجاهلة وجود الشعب المسلم الفلسطيني.

وقد أنتج هذا التقاطع بين بريطانيا المتدينة والصهيونية العلمانية أرضية مشتركة، وظف فيها الدين كغطاء أيديولوجي لتسويغ جريمة سياسية وجغرافية، واقتلاع شعب من أرضه تحت ستار "تحقيق النبوءات القديمة".

فهل ستتحوّل هذه المنهجية من مرحلة التخطيط لتنتقل إلى مرحلة التنفيذ؟ ■

ينظر كثير من حاخامات اليهود إلى بقية الأمم كأنهم حيوانات بشرية، ويستدلون:

١- «أنتم تدعون آدم، وليس الأمم يدعون آدم».

النص العبري: אָדָם קרויין אָדָם, וְאֵין הַגּוֹיִם קרויין אָדָם. المصدر: التلمود البابلي، يياموت ١٦١أ.

٢- «لا يجوز أن ينفرد الإنسان معهم؛ لأنهم متهمون بسفك الدماء».

النص: וְלֹא יַתִּיחַד אָדָם לַמָּהָן, מִפְּנֵי נְשִׁחַ שְׂוֵדִין עַל נְפִיכוֹת דָּמִים.

المصدر: عبوداه زاراه ١٢٢أ.

٣- «لا تترك البهيمة في فنادق غير اليهود؛ لأنهم متهمون باتيان البهائم».

النص: אֵין מַעֲמִידִין בְּהֵמָה בְּפוֹנְדֵקֶאזֹת נֶפֶל גּוֹיִם, מִפְּנֵי נְשִׁחַ שְׂוֵדִין עַל הֶרְבֵּיעָה.

المصدر: عبوداه زاراه ١٢٢أ.



الصراع الإسلامي - اليهودي

في 2027

خمس تحولات

تعيد تشكيل المشهد الفلسطيني-الإسرائيلي

مرصد فلسطين المستقبل

2025
2026
2027
2028
2029



لأن ما يتغير فيها ليس الحكومة أو ميزانًا سياسيًا مؤقتًا، وإنما الجغرافيا نفسها.

أولاً: الضفة الغربية... السباق على الأرض قبل السياسة:

الخطر الأكبر في الضفة ليس بالضرورة اندلاع مواجهة شاملة غدًا، وإنما أن ينجح المشروع الاستيطاني في تغيير الواقع على الأرض إلى درجة تصبح معها أي تسوية مستقبلية مختلفة جذريًا عما كان ممكنًا قبل سنوات.

إننا أمام تراكم يجمع بين توسيع المستوطنات والبؤر، وتصادع عنف المستوطنين، وتحولات في نمط العمل

من الضفة وفلسطين من الداخل إلى واشنطن والإقليم: أين تتشكل المرحلة القادمة؟

لا تشير المعطيات الحالية إلى تحول واحد سيحسم الصراع خلال ٢٠٢٧، بقدر ما تشير إلى انتقال تدريجي من مرحلة الحروب المتتابة إلى مرحلة أعمق يجري فيها تغيير الأرض، وإعادة تشكيل الكيان المحتل من الداخل، ومحاولة بناء نظام سياسي جديد في غزة، بالتوازي مع تغير بطيء في البيئة الأمريكية وإعادة ترتيب التحالفات الإقليمية.

وبين هذه التحولات جميعًا، تبدو الضفة الغربية الأكثر تعرضًا لتغيير يصعب عكسه؛



العسكري الإسرائيلي. وفي الأيام الأخيرة وحدها شهدت الضفة ضربة جوية إسرائيلية نادرة قرب جنين، وهجومًا جديدًا للمستوطنين في قصرة، فيما طالب ٤٥ عضوًا من الكتلة الديمقراطية في مجلس الشيوخ الأمريكي الحكومة الإسرائيلية بالتحرك ضد تصاعد عنف المستوطنين.

لكن أهمية هذه الأحداث ليست في كل حادثة منفردة، بل في الاتجاه الذي يجمعها: انتقال السيطرة على الضفة من إدارة احتلال قابل للتفاوض نظريًا إلى صناعة واقع جغرافي وأمني أكثر رسوخًا.

وهنا يصبح الزمن عنصر قوة للمشروع الاستيطاني؛ فكل طريق وبؤرة ومستوطنة ومنطقة أمنية جديدة تغير نقطة البداية لأي مفاوضات مقبلة.

لهذا؛ فإن السؤال الاستراتيجي لعام ٢٠٢٧: كم بقي من الجغرافيا الفلسطينية التي يمكن إعادة وصلها سياسيًا إذا بدأت تسوية بعد خمس سنوات؟ مستوى الخطر: مرتفع جدًا.

ثانيًا: الكيان المحتل... أقوى عسكريًا؛ لكن أكثر كلفة في إدارة قوتها؛

الانتخابات المقررة في ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٦ ستقرر الحكومة المقبلة، وربما تنهي مرحلة

نتنياهو أو تمدها، لكن اختزال أزمة الكيان المحتل في الرجل سيكون خطأ تحليليًا. حتى المؤسسات المالية الدولية تتعامل مع الانتخابات بوصفها حدثًا مؤثرًا في الاستقرار الاقتصادي؛ وقد قدّر JPMorgan مؤخرًا احتمال فوز المعارضة بنحو ٥٥٪ ضمن سيناريوهاته.

لكن التحول الأعمق يقع تحت الانتخابات: أزمة تجنيد الحريديم، وأعباء الاحتياط، والصراع حول القضاء، والتحول داخل اليمين، والسؤال المتزايد حول توزيع كلفة الأمن بين مكونات المجتمع.

وهنا تظهر مفارقة مهمة:

اقتصاديًا؛ لا توجد مؤشرات تسمح بالحديث الجاد عن "انهيار إسرائيلي". بنك إسرائيل يتوقع نموًا قدره ٥,٥٪ في ٢٠٢٧.

لكنه يقول في الوقت نفسه إن الناتج سيظل في نهاية ٢٠٢٧ دون المسار الذي كان سيبلغه قبل الحرب، ويربط ذلك باستمرار أعباء الاحتياط وبقاء بعض المتضررين خارج سوق العمل وبالرصيد السلبي للهجرة. كما يتوقع بقاء الدين عند نحو ٦٩٪ من الناتج.

وتظهر المفارقة نفسها في التكنولوجيا؛ فالقطاع ما يزال قويًا عالميًا، لكن هيئة الابتكار الصهيونية سجلت لأول مرة منذ عقد انخفاضًا في عدد العاملين بالبحث والتطوير،



وانخفضت نسبة موظفي الشركات التقنية الخاصة العاملين داخل الكيان من ٦٩٪ عام ٢٠١٩ إلى ٦٢٪ في مارس ٢٠٢٦، مع انتقال أكبر لوظائف الإدارة والبحث إلى الخارج. إذن المشكلة ليست أن الكيان يفقد قوته بسرعة، بل أن تكلفة إنتاج هذه القوة والمحافظة عليها ترتفع.

وقد يكون هذا أهم تحول في السنوات المقبلة: كيان شديد القدرة عسكريًا وتقنيًا، لكنه يحتاج إلى موارد بشرية ومالية واجتماعية أكبر لإبقاء هذه القدرة عند مستواها.

مستوى الخطر على الكيان: مرتفع تراكميًا.

ثالثًا: غزة... المعركة القادمة على النظام السياسي لا على الأرض وحدها:

بعد سنوات من الحرب أصبح سؤال: من يحكم غزة؟ مساويًا في الأهمية لسؤال من يسيطر عسكريًا؟.

الخطة الأمريكية الحالية تربط الانسحاب الصهيونية بنزع سلاح حماس، مع اقتراح إدارة فلسطينية تكنوقراطية، وقوة استقرار دولية مؤقتة؛ لكن الخلاف الجوهرى ما يزال حول ترتيب الخطوات: ليطالب الكيان بنزع السلاح أولاً، بينما تقوم الخطة على مراحل

متبادلة من الانسحاب ونزع السلاح. وهذه ليست مشكلة إجرائية.

فالنظام الذي سيخرج من غزة قد يحدد شكل النظام السياسي الفلسطيني كله. إذا نشأت إدارة جديدة تمتلك شرعية داخلية ودعمًا عربيًا ودوليًا وموارد لإعادة الإعمار، فقد تظهر تدريجيًا منافسة على تمثيل الفلسطينيين تتجاوز الثنائية القديمة بين السلطة وحماس.

أما إذا فشل النموذج، فقد يتحول الانقسام الفلسطيني من حالة سياسية مؤقتة إلى بنية جغرافية مستقرة: غزة بنظام، والضفة بنظام آخر، بينما يتوسع الكيان بينهما.

ولهذا؛ فإن "اليوم التالي" ليس نهاية الحرب؛ إنه بداية معركة على شكل القضية الفلسطينية نفسها. مستوى الغموض: مرتفع جدًا.

رابعًا: أمريكا... التحالف لم ينكسر؛ لكن قاعدته الاجتماعية تتآكل:

من الخطأ بناء استراتيجية فلسطينية على انتظار تخلي واشنطن قريبًا عن الكيان؛ فالعلاقة العسكرية والمؤسسية والسياسية أعمق من أن تنقلب خلال عام أو عامين. لكن تجاهل ما يجري داخل الولايات



المتحدة خطأ مماثل.

في استطلاع Pew المنشور في يوليو، هبطت النظرة الإيجابية إلى الكيان المحتل من ٦٧٪ عام ٢٠٢٢ إلى ٥٢٪ في ٢٠٢٦، بينما وصلت النظرة السلبية إلى حكومة الكيان إلى ٦٢٪. وبين الأمريكيين دون الثلاثين أصبح التعاطف مع الفلسطينيين أعلى بوضوح من التعاطف مع الإسرائيليين ثم جاءت رسالة ٤٥ عضوًا من الكتلة الديمقراطية في مجلس الشيوخ بشأن عنف المستوطنين لتظهر أن بعض الانتقادات لم تعد مقتصرة على الأطراف اليسارية للحزب.

لكن القيمة الاستراتيجية لهذه الأرقام ليست في أثرها على ٢٠٢٧ وحده. إذا استمر الاتجاه عشر سنوات، فقد يتحول دعم الكيان من قضية تحظى بإجماع سياسي واسع إلى قضية تختلف عليها الأحزاب والأجيال.

وهذا لا يسقط التحالف؛ لكنه يرفع كلفته السياسية داخل الولايات المتحدة. الأثر الفوري: متوسط. الأثر بعيد المدى: مرتفع جدًا.

خامسًا: الإقليم... فلسطين تعود عائقًا أمام تجاوزها:

قبل سنوات كان الاتجاه الإقليمي يمضي نحو بناء شبكة من العلاقات الأمنية والاقتصادية تستطيع التعامل مع الكيان مع تأجيل القضية الفلسطينية.

هذا التصور أصبح أصعب. أوضح مثال حالي هو السعودية. فالولايات المتحدة تربط اتفاق التعاون النووي المدني معها بالتطبيع مع الكيان، بينما ما تزال الرياض تشترط مسارًا موثوقًا نحو الدولة الفلسطينية.

وفي الوقت نفسه تعيد دول المنطقة تنويع خياراتها الأمنية؛ ومن أحدث الامثلة تحالف مكة اتفاق الدفاع السعودي-التركي-الباكستاني، في بيئة أصبحت فيها الحرب مع إيران والثقة بالضمانات الأمريكية ومستقبل الكيان عناصر متداخلة في الحسابات الإقليمية.

ولا يعني ذلك عودة القضية الفلسطينية تلقائيًا إلى مركز النظام العربي؛ لكن يعني شيئًا أدق:

فشلت فرضية إمكان بناء نظام إقليمي مستقر طويل الأجل مع وضع فلسطين خارج المعادلة.

وهذا يفتح فرصة سياسية؛ لكنه لا يضمن استثمارها.

ثلاثة سيناريوهات لعام ٢٠٢٧:



السيناريو الأرجح:

استمرار التغيير البطيء في الضفة، مع بقاء غزة في ترتيبات انتقالية غير مكتملة، واستمرار قوة الكيان مع تصاعد أزماتها الداخلية، وبقاء الدعم الأمريكي قويًا رغم تزايد الجدل حوله.

السيناريو الأخطر:

تزامن انفجار واسع في الضفة مع ضعف مفاجئ في السلطة الفلسطينية وأزمة سياسية في الكيان الداخلية؛ وهو ما يمكن أن يحول الضفة من ساحة ضبط أمني إلى مركز الصراع كله، مع امتداد مباشر إلى الأردن والقدس.

السيناريو الأقل احتمالًا:

تسوية إقليمية واسعة تربط ترتيبات غزة والتطبيع السعودي - مع الكيان بضمانات سياسية ملموسة في الضفة ومسار فلسطيني جديد. العقبان أمام هذا السيناريو كبيرة؛ لكنه لا ينبغي إسقاطه من الحساب.

مؤشرات المرحلة:

١- الأرض: هل تتسارع المستوطنات والضم الفعلي في الضفة؟

٢- السلطة: هل تستطيع السلطة الفلسطينية المحافظة على السيطرة والشرعية؟

٣- الكيان: ماذا يحدث للاحتياط والهجرة ورأس المال البشري؟
٤- غزة: هل يظهر نظام حكم قابل للاستمرار أم يستمر الفراغ؟
٥- أمريكا: هل يتحول التغيير الشعبي تجاه الكيان إلى قرارات سياسية مؤثرة؟

الخلاصة:

التحول الأهم الذي يكشفه المشهد ليس اقتراب نهاية الصراع، وإنما انتقاله إلى مرحلة أكثر تركيبيًا.

فالمعركة لم تعد فقط بين الفلسطيني والصهيوني على جبهة عسكرية؛ هناك معركة على جغرافية الضفة، وعلى هوية الكيان من الداخل، وعلى من يمثل الفلسطينيين بعد غزة، وعلى مستقبل الإجماع الأمريكي، وعلى شكل النظام الإقليمي المقبل.

ومن بين هذه المسارات كلها؛ تبقى الضفة الغربية نقطة الإنذار المبكر الأولى؛ لأن الحكومة يمكن تغييرها، والتحالفات يمكن تعديلها، والحروب يمكن إيقافها، أما الجغرافيا إذا أعيد تشكيلها فقد تحتاج عقودًا لتغييرها. ■



تقرير مركز فلسطين للمستقبل
للدراستات الاستراتيجية (١)

من يددير حروب الشرق الأوسط؟

فلسطين وإيران في ميزان المصلحة الأمريكية



المصالح
الأمريكية



التحالفات
الإقليمية



الحروب
بالوكالة



إعادة تشكيل
المنطقة



مستقبل
الصراع

القضية الفلسطينية من المحاور الخارجية.

السؤال المركزي:

كيف توظف الولايات المتحدة الأزمات الإقليمية للمحافظة على نفوذها، وما أثر ذلك في فلسطين ومستقبل الأمن العربي والإسلامي؟

أولاً: القاعدة الحاكمة للسياسة الأمريكية:

لا تبدأ القراءة الصحيحة للسياسة الدولية من خطب القادة، وإنما من المصالح التي تتحرك خلف الجيوش والعقوبات والمفاوضات؛ فالدول الكبرى لا تختار الحرب أو السلام لذاتها؛ وإنما تنتقل بينهما وفق حسابات القوة والكلفة والنفوذ.

وقد عبر هنري كيسنجر عن هذا المنطق حين ذكر أنه فضل في مرحلة من الصراع العربي - الصهيوني حالة جمود طويلة تدفع العرب بعيداً عن الاتحاد السوفييتي، وتضع واشنطن في مركز الدبلوماسية الإقليمية.

لم تكن الأولوية إعادة الحقوق فوراً، وإنما إعادة ترتيب موازين النفوذ حتى تصبح الولايات المتحدة الطريق الذي لا يمكن تجاوزه في الحرب والتسوية معاً.

ومن ثم: فليس الخط الأمريكي الثابت هو

ينطلق هذا التقدير من قاعدة مركزية في السياسة الأمريكية: لا تتعامل واشنطن مع الأزمات الدولية على أساس إنهاؤها لمجرد أن الحل عادل، وإنما تختار بين التسوية والتجميد والتصعيد والاحتواء بحسب ما يخدم أمنها ونفوذها وتحالفاتها.

وقد ظهرت هذه القاعدة في إدارة الصراع العربي - الصهيوني؛ إذ تحولت عملية السلام في مراحل متعددة من وسيلة معلنة لإنهاء الاحتلال إلى إطار لإدارة الصراع، ومنع انفجاره، بما يحفظ أمن الكيان المحتل والدور الأمريكي في المنطقة.

وتكشف الحرب الأمريكية - الإيرانية الراهنة وجهاً آخر للقاعدة نفسها؛ فواشنطن لا تريد إيران نووية أو مهيمنة؛ لكنها قد لا ترى في انهيار الدولة الإيرانية مصلحة لها، والأرجح أنها تسعى إلى إيران ضعيفة ومحدودة النفوذ، مع بقاء النظام تحت الاحتواء، بما يحفظ حاجة المنطقة إلى المظلة الأمنية الأمريكية.

ويحذر التقدير من إدخال فلسطين في ترتيبات ما بعد الحرب، سواء بوصفها ورقة إيرانية للمساومة، أو ملحقة في هندسة أمنية أمريكية - صهيونية، ويوصي ببناء موقف عربي إسلامي مستقل، وحماية الدول السنية، وتعزيز الأمن الجماعي، وتحرير



إشعال الحروب، كما أنه ليس إحلال السلام؛ وإنما إبقاء ميزان القوة خادماً للمصلحة الأمريكية: فإذا خدمتها التسوية صنعتها، وإذا خدمها الجمود أدارته، وإذا أفادها انقسام الخصوم استثمارته، وإذا هددت الفوضى مصالحها سارعت إلى احتوائها.

ثانيًا: فلسطين من حل القضية إلى إدارة الصراع:

تمثل فلسطين النموذج الأوضح لهذه السياسة- فمنذ عقود تتحدث الإدارات الأمريكية عن السلام وحل الدولتين ورفض الاستيطان؛ لكنها وفرت للكيان المحتل الحماية السياسية والتفوق العسكري والغطاء الدبلوماسي الذي مكنه من تغيير الوقائع على الأرض.

وهكذا تحولت عملية السلام تدريجياً إلى آلية لإدارة الاحتلال: تستأنف المفاوضات حين يخشى انفجار المنطقة، وتتوقف عندما لا يكون استمرار الاحتلال مكلفاً، وتصدر بيانات القلق من الاستيطان دون إجراءات تغير ميزان القوة.

فالولايات المتحدة تريد هدوءاً يحمي الكيان المحتل، ويمنع اتساع الحرب، ويحفظ استقرار حلفائها وتدفع التجارة والطاقة؛ لكنها لا تبدي الاستعداد نفسه

لفرض العدالة اللازمة لسلام قابل للبقاء. ومع ذلك لا تتحمل واشنطن وحدها مسؤولية استمرار المأساة: فقد أسهم التفرق العربي، وضعف البناء السياسي، والتناقض بين الشعارات والقدرات، وارتهان بعض الفصائل للمحاور الخارجية، في تحويل فلسطين إلى ورقة يتنافس عليها الآخرون. فالفراغ لا يبقى فراغاً في السياسة؛ وإذا لم يملك أصحاب القضية مشروعهم، جاء من يديرها بما يخدم مشروعه.

ثالثًا: إيران بين المواجهة والاحتواء:

بدأت المواجهة الأمريكية - الإيرانية الواسعة في ٢٨ فبراير/شباط ٢٠٢٦، ثم تعاقبت الضربات والتهديدات والتفاهات المؤقتة، مع استمرار الخلاف حول البرنامج النووي والعقوبات ومضيق هرمز. لا تريد واشنطن إيران نووية أو قوة قادرة على تهديد حلفائها وطرق الطاقة، لكنها لا تحارب المشروع الإيراني دفاعاً عن أهل السنة، بل لحماية نظام إقليمي يمنحها القدرة على الردع والتحكم.

ومن الخطأ افتراض أن إسقاط النظام الإيراني هو هدفها الحتمي؛ فقد يؤدي انهيار الدولة إلى الفوضى وانتشار السلاح والنزوح واضطراب الطاقة وظهور قوى يصعب



ضبطها.

ولذلك قد يكون السيناريو الأنسب لواشنطن هو إيران منزوعة القدرة النووية، محدودة النفوذ، محاصرة اقتصاديًا؛ لكنها باقية بالقدر الذي يمنع الفوضى، ويبقي دول المنطقة محتاجة إلى الحماية الأمريكية. هذه قراءة استشرافية وليست معلومة رسمية؛ لكنها تنسجم مع منطق المصلحة؛ تضخم الخطر الإيراني يهدد واشنطن، واختفاؤه الكامل يضعف بعض مسوغات وجودها، أما الخطر المحاصر القابل للإدارة فيبقيها في قلب المعادلة.

وفي المقابل أثبت المشروع الإيراني استعداداه لنقل كلفة مواجهته إلى جيرانه وتهديد دول الخليج ومنشآت الطاقة والممرات البحرية.

ومع ذلك؛ فإن إدراك خطره لا يجعل السياسة الأمريكية مشروع خلاص، ويمكن رفض التوسع الإيراني دون منح واشنطن تفويضًا مفتوحًا، كما يمكن رفض الانحياز الأمريكي للكيان المحتل دون الارتقاء في المشروع الإيراني.

رابعًا: فلسطين في ترتيبات ما بعد الحرب:

يتمثل الخطر المستقبلي في دخول فلسطين ضمن صفقة إقليمية واسعة

تشمل البرنامج النووي والعقوبات ومضيق هرمز ونفوذ الميليشيات ومستقبل غزة ولبنان والعراق.

وقد تستخدم طهران أوراقها الفلسطينية واللبنانية للحصول على ضمانات لبقاء النظام أو تخفيف العقوبات، وقد تستخدم واشنطن الخطر الإيراني لفرض ترتيبات أمنية وتطبيع أوسع دون حل عادل لفلسطين- كما قد يستثمر الكيان المحتل انشغال المنطقة لتوسيع الاستيطان وفرض وقائع جديدة.

وعندئذ يكون الفلسطيني حاضراً في الخطب، غائباً عن القرار، بينما تتفاوض القوى على حقوقه ومستقبله.

ولهذا يجب تحرير فلسطين من وظيفتين خطيرتين: أن تكون ذريعة للنفوذ الإيراني، أو ملحقاً في ترتيبات الأمن الأمريكي- الصهيوني.

خامسًا: السيناريوهات المرجحة:

١- استمرار الاستنزاف المنضبط: تصعيد محدود لا يصل إلى حرب شاملة، مع استمرار العقوبات والضربات والتهديدات، وهو السيناريو الأرجح في المدى القريب.

٢- تسوية أمريكية-إيرانية محدودة: اتفاق مرحلي حول النووي والعقوبات والممرات البحرية، دون إنهاء التنافس



الإقليمي، مع احتمال إدخال أوراق فلسطين ولبنان ضمن المقايضات.

٣- احتواء إيران دون إسقاط النظام:

إضعاف قدراتها العسكرية والإقليمية مع إبقائها دولة موحدة تحت الضغط، وهو الأقرب إلى منطق المصلحة الأمريكية في المدى المتوسط.

٤- انفجار إقليمي واسع:

اتساع الحرب إلى الخليج والعراق ولبنان واليمن والممرات البحرية. احتماله أقل؛ لكنه الأعلى كلفة وخطورة.

سادسًا: التوصيات الاستراتيجية

١- بناء موقف عربي وإسلامي مستقل، فلا تكون الأمة تابعًا لواشنطن ولا وقودًا لطهران.

٢- حماية الدول السنية وتعزيز أمنها الجماعي؛ فالفوضى لا تحرر فلسطين، والدول المنهارة لا تقود مشروعًا.

٣- مواجهة الاختراق الإيراني والميليشيات مع تجنب الانجرار إلى حروب يحدد الآخرون توقيتها.

٤- تحرير القرار الفلسطيني من المحاور الخارجية، ومنع توظيف القضية في مفاوضات الدول وصراعاتها.

٥- تنويع العلاقات الدولية دون استبدال

الارتهان لواشنطن بالارتهان لبكين أو موسكو.

٦- بناء أدوات اقتصادية وقانونية وإعلامية ودبلوماسية تجعل تجاهل الحقوق الفلسطينية مكلفًا.

٧- الاستثمار في الإنسان والعلم والتقنية والصناعات الدفاعية والأمن المعلوماتي؛ لأن الحق الذي لا تحرسه قوة رشيدة يتحول إلى ورقة في يد الآخرين.

ستحاول واشنطن إدارة الأزمات بما يحفظ نفوذها، وستحاول طهران إنقاذ مشروعها بأوراق الإقليم، وسيحاول الكيان المحتل استثمار انشغال المنطقة لفرض وقائع جديدة.

أما أهل السنة والجماعة فلن يحميهم بعد الله إلا وضوح المرجعية، ووحددة المصالح، وقوة الدولة، واستقلال القرار، وليس المطلوب إعلان الحرب على العالم، وإنما منع العالم من إدارة قضايا بالنيابة عنا.

لا تنتظر من قوة دولية أن تحل مشكلة يمنحها استمرارها نفوذًا عليك؛ امتلك من الوحدة والقوة والوعي ما يجعل الحل مصلحة مشتركة، ويجعل استمرار الظلم مكلفًا لصانعيه، لا لضحاياه وحدهم.■



ختامها مسك

من الوعي بالقضية إلى صناعة جيل التحرير

ليست فلسطين قضيةً نضيفها إلى قائمة اهتماماتنا، ولا خبرًا يشتعل حين تشتد الأحداث ثم يخبو حين تهدأ الشاشات؛ إنها قضية تكشف مقدار ما بقي في الأمة من وعي، وإيمان، ومسؤولية، وقدرة على الانتقال من التأثير إلى الفعل، ومن الحماسة إلى البناء، ومن الشعارات إلى مشروع طويل النفس.

قدر لا يدفع، ولا تصغيره حتى يصبح مجرد وهم يزول بالخطب. بل يعني أن نعرفه كما هو: مشروعًا منظمًا يخطط، ويبني، ويستفيد من الوقت، ويحول الفرص الصغيرة إلى مكاسب مترامية.

ومن الخطأ أن نواجه مشروعًا منظمًا بعاطفة موسمية، أو بخطاب لا يتجاوز رد الفعل.

فالوعي الحق لا يسأل فقط: ماذا فعل العدو؟

بل يسأل كذلك:

ماذا بنينا نحن؟

هل بنينا الإنسان الذي يعرف قضيته؟

هل بنينا الأسرة التي تحمل الرسالة؟

هل بنينا العالم الذي يجمع بين فقه النص وفقه الواقع؟

أفراد بلا رسالة، أو جماعات تتنازع فيما بينها، أو أجيال تعرف أخبار المعركة ولا تعرف سنن النصر. ومن هنا كانت البداية: الوعي بالقضية.

أن نفهم فلسطين كما هي، لا كما تصنعها الدعاية.

أن نعرف تاريخها، ومكانتها في الوعي، وموقعها من هوية الأمة، وطبيعة المشروع الصهيوني، وأدواته، ومراحله، وأهدافه، وأن ندرك أن الصراع حول فلسطين ليس حادثَةً طارئة، ولا نزاعًا عقاريًا يمكن اختزاله في حدود أو خرائط أو مفاوضات؛ بل هو صراع طويل تتداخل فيه العقيدة، والتاريخ، والسياسة، والقوة، والهوية، والذاكرة.

والوعي الصحيح لا يعني تضخيم العدو حتى يتحول إلى

ولهذا لم يكن هذا العدد رحلةً في التاريخ، ولا استعدادًا لمشاهد الألم، ولا جمعًا لمقالات متفرقة عن فلسطين؛ بل كان محاولةً للإجابة عن سؤال أكبر:

كيف تنتقل الأمة من معرفة فلسطين إلى صناعة الإنسان القادر على حملها؟

فالقضايا الكبرى لا تبدأ من ساحات المواجهة، وإنما تبدأ قبل ذلك بسنوات طويلة؛ في العقول والقلوب، وفي البيوت والمدارس والمساجد والجامعات، وفي طريقة بناء الإنسان وتربيته وتعليمه وتوجيهه.

والأهم لا تحسر أوطانها يوم يدخلها عدوها فقط؛ بل قد تبدأ خسارتها يوم يختل وعيها، وتضطرب أولوياتها، وتضعف صلتها بدينها، ويتحول أبنائها إلى



هل بنينا المؤسسات التي تستمر بعد الأشخاص؟
هل بنينا جيلاً يميز بين الحماسة والبصيرة، وبين الشجاعة والتهور، وبين النصرة الصادقة والاستغلال السياسي؟
هنا يبدأ الانتقال من الوعي إلى المسؤولية.
فالوعي الذي لا يصنع موقفاً يتحول إلى ثقافة باردة، والمعلومة التي لا تتحول إلى التزام لا تتجاوز الذاكرة، والخطاب الذي لا ينتهي إلى بناء يبقى صدى، مهما علا صوته.
ولهذا كان المحور المركزي لهذا العدد: صناعة جيل التحرير. وجيل التحرير ليس جيلاً أسطورياً سيظهر فجأة في آخر الطريق.
إنه يصنع الآن.
هو طفل يتعلم التوحيد قبل أن يتعلم الشعارات.
وشاب يترن على السنة قبل أن تحتطفه الأهواء والتيارات.
وطالب علم يعرف أن خدمة فلسطين ليست منشوراً عاطفياً، بل علم، ودعوة، وتربية، وإعلام، واقتصاد، وسياسة شرعية، وبناء مجتمع.
وأ أسرة تدرك أن تربية الأبناء

على المسؤولية ليست شأناً منزلياً صغيراً، بل لبنة في مشروع أمة.
وعالم يعلم الناس أن النصر له شروط، وأن السنن لا تحايي أحداً، وأن حسن القصد لا يغني عن حسن التقدير.
وقائد يعرف أن الدماء ليست أرقاماً، وأن القرارات الكبرى يجب أن تبني على العلم، والقدرة، والمآلات، لا على الحماسة وحدها.
فجيل التحرير لا يصنع بالضجيج.
يصنع بالصبر.
ولا يصنع بالكراهية المجردة.
يصنع بالحق.
ولا يصنع بالانفعال.
يصنع بالبصيرة.
ولا يصنع في يوم.
يصنع عبر سنوات من التعليم، والتربية، والانضباط، والإعداد.
وهنا نفهم لماذا كان القرآن يقدم بناء الإنسان على لحظة المواجهة.
فطالوت لم يبدأ بجالوت، وإنما بدأ بالاختيار، والابتلاء، والتمييز، والثبات، ثم جاءت المواجهة بعد أن تكشف معدن الرجال.
وهذه سنة لا تتغير.

فالمعارك الكبرى تحتاج قبلها إلى أجيال كبرى.
والحرير يحتاج قبل السلاح إلى إنسان يعرف لماذا يقاتل، ومتى يقاتل، وكيف يقاتل، ومتى يصبر، ومتى يتراجع، ومتى يبني، ومتى يختار المعركة التي تستحق أن تخاض.
وهذا كله لا يصنعه الغضب.
يصنعه العلم.
ولا تصنعه الكلمات الكبيرة.
تصنعه التربية الطويلة.
ومن أعظم ما ينبغي أن يتعلمه جيل التحرير أن فلسطين ليست ملكاً لفصيل، ولا لتنظيم، ولا لحزب، ولا لمشروع إقليمي، ولا منصةً لتصفية الحسابات بين القوى.
فلسطين قضية أمة.
وكلما ضاقت القضية حتى أصبحت عنواناً لفئة، اتسعت المسافة بينها وبين التحرير.
وكلما تحولت إلى مادة لاستقطاب الناس، أو أداة لتوظيفهم في صراعات الآخرين، خسرنا جزءاً من معناها الحقيقي.
ولهذا يحتاج جيل التحرير إلى وعي يحفظه من أمرين متناقضين:
من اللامبالاة التي تميت



القضية، ومن التوظيف الذي يختطفها.

لا نريد جيلاً يقول: فلسطين لا تعيننا.

ولا نريد جيلاً يجعل فلسطين بوابة لكل مشروع حزبي أو طائفي أو إقليمي.

نريد جيلاً يعرف أن فلسطين لله ثم للأمة، وأن نصرتها لا تكون بتحويلها إلى أداة في يد الآخرين.

وهنا تظهر قيمة العقيدة. فالتوحيد ليس درساً منفصلاً عن فلسطين.

التوحيد يصنع الإنسان الحر من عبودية الأشخاص والجماعات.

ويمنعه من أن يجعل زعيماً فوق الحق، أو حزباً فوق الدين، أو تنظيمًا فوق الأمة.

ويعلمه أن النصر بيد الله، وأن الأخذ بالأسباب عبادة، وأن الهزيمة قد تبدأ من داخل النفوس قبل أن تظهر في أرض المعركة.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَصْرُواُ اللَّهُ يَصْرُكُمْ وَيُذِيبَكُمْ أَفَدَّامَكُمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا يَأْنِفُسُهُمْ﴾.

فالإصلاح الداخلي ليس هروباً من القضية، بل هو أحد شروط القوة فيها.

والتربية ليست بديلاً عن الإعداد، بل أصل من أصوله.

والعلم ليس ترفاً بعيداً عن الميدان، بل هو الذي يمنع الميدان من أن يتحول إلى فوضى. والوحدة ليست شعاراً، بل قوة.

والمؤسسة ليست إجراءً إدارياً، بل ضماناً لثلا تنهار المشروعات بموت الأشخاص.

ومن هنا فإن تحرير فلسطين لا يبدأ من سؤال واحد:

متى نواجه؟

بل من سلسلة أسئلة تسبق ذلك:

ماذا نعرف؟

ماذا نبني؟

من نربي؟

ما مؤسساتنا؟

ما اقتصادنا؟

ما أدوات تأثيرنا؟

ما قدرتنا على الصبر؟

وما مقدار استقلال قرارنا؟

الأمة التي لا تملك جواباً عن هذه الأسئلة قد تدخل معارك كثيرة، لكنها لا تملك مشروعاً للنصر.

ولهذا فإن من أخطر ما يمكن أن يصيب القضية أن تتحول إلى موسم عاطفي.

فإذا اشتعلت غزة اشتعلنا، وإذا هدأت الجبهة هدأنا.

إذا انتشرت صورة بكينا، وإذا غابت الصورة انشغلنا.

أما الأمم التي تصنع المستقبل فلا تتحرك بهذه الطريقة.

هي تعمل حين ينام الآخرون. تبني في زمن الهدوء كما تثبت في زمن الشدة.

تربي حين لا توجد كاميرات. وتؤسس حين لا توجد عناوين عاجلة.

وتعرف أن السنوات التي لا يسمع فيها صوت المعركة قد تكون أهم من أيام المعركة نفسها؛ لأنها السنوات التي تصنع فيها أدوات الحسم.

ومن هنا فإن السؤال الحقيقي بعد انتهاء هذا العدد ليس:

ماذا عرفنا عن فلسطين؟

بل:

ماذا تغير فينا من أجل فلسطين؟

هل أصبح وعينا أعمق؟

هل أصبح خطابنا أكثر انضباطاً؟

هل صار فهمنا للعدو أدق؟

هل فهمنا أن التحرير بناء طويل؟

هل أدركنا أن تربية ابن



صالح، وتعليم طالب علم، وبناء مؤسسة، وحماية شاب من الغلو، وتصحيح مفهوم خاطئ، وإنتاج إعلام مهني؛ كل ذلك من حلقات الطريق الطويل؟

هذه هي النقلة التي نريدها. من المتفرج إلى الشريك. من المتعاطف إلى المسؤول. من قارئ الأخبار إلى صانع الوعي.

ومن انتظار جيل التحرير إلى المشاركة في صناعته.

إن فلسطين لا تحتاج إلى مزيد ممن يحبونها فقط.

هي تحتاج إلى من يستعدون لها.

تحتاج إلى من يحمل همها في مشروع حياته.

إلى عالم يعلم.

ومرب يبي.

وإعلامي يكشف.

وباحث يدرس.

ومهندس ينتج.

وتاجر يقوي اقتصاد أمته.

وأب وأم يعرفان أن الطفل الذي بين أيديهما قد يكون جزءاً من مستقبل لم يولد بعد.

فالتحرير لا تصنعه فئة واحدة.

تصنعه أمة توزع المسؤولية بين أبنائها، وتجمع جهودهم في

اتجاه واحد.

وإذا كان هذا العدد قد أراد أن يقول شيئاً واحداً، فهو أن الطريق لا يبدأ من الميدان وحده.

بل يبدأ من الإنسان.

والإنسان يبدأ من العقيدة.

والعقيدة تبني الوعي.

والوعي يصنع الإرادة.

والإرادة تنشئ المؤسسة.

والمؤسسة تراكم القوة.

والقوة، حين تنضبط بالحق والحكمة، تفتح أبواب التغيير.

هكذا تبني الأمم.

وهكذا تستعاد الأوطان.

أما انتظار لحظة مفاجئة يتغير فيها كل شيء بلا مقدمات، فليس من سنن الله في التاريخ.

إن المستقبل لا يمنح نفسه لمن ينتظره.

بل لمن يبنيه.

وفلسطين لا تنتظر جيلاً يولد صدفة.

بل أمة تصنعه عمداً.

أمة تعرف أن الطريق طويل، فلا تستعجل الثمرة قبل اكتمال الزرع.

وتعلم أن العاقبة للمتقين، فلا تيأس عند شدة الطريق.

وتعرف أن النصر وعد، لكنه وعد له شروط.

ولذلك فإن أعظم خدمة نقدمها لفلسطين اليوم ليست أن نكرر أننا نحبها.

بل أن نكون أهلاً لحملها.

أن نبني وعياً لا يخدعه الإعلام.

وعقيدة لا تشتريها الأحزاب.

وعلماً لا تزعزعه الشبهات.

وأخلاقاً لا تهدمها الخصومات.

ومؤسسات لا تموت بموت الرجال.

وقوة لا تسبقها الفوضى.

ووحدة لا تلغي الحق، بل تجتمع عليه.

فإذا صنعنا هذا الإنسان، وصنعنا هذه الأسرة، وصنعنا هذه المؤسسة، وصنعنا هذا الوعي؛ نكون قد وضعنا أقدامنا على أول الطريق الحقيقي.

وعندها لن يكون السؤال:

من سيحرر فلسطين؟

بل:

كم بقي حتى يكتمل ما بدأناه؟

فلسطين لا تنتظر منا موسماً جديداً من الحماسة.

إنها تنتظر جيلاً.

وجيل التحرير لا ينتظر.

جيل التحرير يصنع.

ومن الوعي بالقضية إلى صناعة هذا الجيل... يبدأ طريق التحرير. ■



يعد الإعلام الإسلامي ذو المرجعية السنية سلاحًا فاعلاً في نصرته القضية الفلسطينية، وأول خطوة في مسار التحرير: حيث يساهم في نقل الحقيقة، وكشف الجرائم والانتهاكات التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني.

يتميز الإعلام الإسلامي بتسليط الضوء على قضية فلسطين من منظور عادل وصادق، ملتزمًا بالقيم والأخلاق الإسلامية في الطرح والعرض والنقد يقوم بتعزيز الوعي العالمي حول القضية الفلسطينية من خلال نشر الأخبار، وإعداد التقارير الميدانية، وإجراء المقابلات مع الشخصيات المؤثرة، كما يلعب دورًا في تعزيز الوحدة الإسلامية والتضامن بين الأمة العربية والإسلامية لدعم حقوق الفلسطينيين في وطنهم وتقرير مصيرهم.

ويواجه حملات التضليل الإعلامي العالمي التي تستهدف تشويه صورة الشعب الفلسطيني وقضيته، ويحرص على إبراز الرواية الحقيقية بعيدًا عن التزييف.

ويسهم في تعزيز روح الثبات والصمود من خلال بث الرسائل المحفزة والداعمة للقضية الفلسطينية والشعب العربي الفلسطيني المسلم في صراعه الديني مع العدو اليهودي الغاصب وحلفائه وذلوله من المنافقين والعملاء.

ولذلك انطلقت "مجلة فلسطين المستقبل" لتكون نجمًا يبدد كل الظلمات حول قضية المسلمين في فلسطين وبيت المقدس. ولتكوين جبهة قوية في الدفاع عن الحقوق الفلسطينية، ونقل صوت المظلومين إلى العالم، مع الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية السنية وعلى القيم الأخلاقية في كل ما تقدمه.

منصة فلسطين قضيتي الإعلامية